أحمد بن إسحاق اليعقوبي

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

مع مقدمة نظرية في علم اجتماع المعرفة في التراث العربي



دراسة وتحقيق:
عبد الرحمن بن عبد الله الشقير

Jadawel جداول

مشاكلة الناس لزمانهم

وما يغلب عليهم في كل عصر

أحمد بن إسحاق اليعقوبي
(المتوفى بعد 292هـ / بعد 905م)

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

مع مقدمة نظرية في علم اجتماع المعرفة في التراث العربي

دراسة وتحقيق:
عبد الرحمن بن عبد الله الشقير

Jadawel جداول

الكتاب: **مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**
مع مقدمة نظرية في علم اجتماع المعرفة في التراث العربي
المؤلف: **أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد 292هـ/ بعد 905م)**
دراسة وتحقيق: **عبد الرحمن بن عبد الله الشقير**

جداول
للنشر والترجمة والتوزيع
رأس بيروت - شارع كراكاس - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
شباط / فبراير 2019
ISBN 978-614-418-395-3

طبع في لبنان

Caracas Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2019 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. إبراهيم

المحتويات

مقدمة المحقق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نعيش اليوم في عصر يوصف بأنه مجتمع المعرفة، حيث أصبحت المعرفة رأسمالًا رمزيًّا، يخضع لقواعد الإنتاج والتوزيع والتخزين ومراكمة المعرفة واستثمارها، مما يستدعي إبراز التعريف بعلم اجتماع المعرفة في النظريات الاجتماعية وفي التراث العربي. ويأتي التعريف بهذا الكتاب النادر، بوصفه من نفائس التراث العربي في الفكر الاجتماعي، التي تبحث في تاريخ الأفكار وتأثير ثقافة النخب واهتماماتهم على سلوك الناس العاديين في حياتهم اليومية، ويؤصل لأفكار الإنسان العادي وممارساته وهواياته ومتابعته للتقاليد والاهتمامات، بل يمكن أن يؤصل لأسباب انتشار أفكار علية القوم، ومنها اهتمامهم بما يمكن إدراجه ضمن «الموضة» في المجتمع التقليدي، إضافة إلى انتشار المناهج الفكرية كالمعتزلة ونشر بعض السلوكيات والأخلاقيات. ويدلنا هذا الكتاب على مصادر نشأتها وتغييرها في المجتمع، ويعكس تاريخ تأليفه الذي يعود للقرن الثالث الهجري قوة التفكير الاجتماعي، إذ تتبع مؤلفه اليعقوبي ظاهرة انتشار القيم والعادات والتقاليد والاهتمامات والموضة، أو ما يشيع بين الناس عمومًا، وتوصل إلى تسلسل أسبابها، وهرمية انتشارها، فهي وفق ملاحظته تبدأ من الخليفة، ثم يقلّده كبار رجال دولته مثل ولاته ووزرائه وعماله، ثم يقلّدهم

من تحتهم حتى تصير عادة منتشرة في المجتمع؛ فالخلفاء كانوا رمزًا اجتماعيًا ومصدرًا أساسيًا لتوجيه أفكار الناس واهتماماتهم.

تتبع اليعقوبي هذه الظاهرة عبر ثلاثة قرون، وبدراسته الدقيقة للتاريخ الاجتماعي لواحد وثلاثين خليفة شملت الخلافة الراشدة والعصرين الأموي والعباسي الأول. وتكتسب ملاحظة اليعقوبي قوتها الاجتماعية من مكانته الاجتماعية والثقافية والسياسية، ولأن أفكاره صاغها بشكل واضح، ولَم يسبقه أحد؛ لذلك لا يمكن التقليل من شأن ملاحظاته الاجتماعية. وتؤكد ملاحظة اليعقوبي على أن التفاعل الاجتماعي أقوى تأثيرًا من المهام الرسمية، فجميع الخلفاء مهمتهم الرئيسة هي إدارة الدولة سياسيًا وعسكريًا وإداريًا وماليًا، ولكن سماتهم الشخصية وتفاعلهم الشعبي مع المجتمع هو الذي يترك الصورة الذهنية عنهم، وهو الذي يتأثر به رجالهم؛ إما بوعي منهم، وإما بلا وعي.

إن ملاحظة اليعقوبي الاجتماعية للخلفاء تتكرر في كل زمان ومكان في الملوك والرؤساء والوزراء، ولكنها تقل نسبيًا في العصر الحديث، وخاصة في الدول التي تعلي من شأن الديمقراطية، كما أن الإعلام الجديد انتزع هذه الميزة من السياسيين، وأخرج للمجتمع مشاهير جدًا، وأكثرهم إما من رموز الفن والرياضة، وإما من المعنيين بمخاطبة الشباب والمراهقين، وإما مشاهير تصنعهم شركات التسويق لهدف محدد ثم يختفون، أو حتى الترويج لسلعة أو الترويج لموضة.

عبد الرحمن بن عبد الله الشقير
مؤرخ وباحث اجتماعي

دراسة الظاهرة

يمكن أن يجد الباحث الاجتماعي والمؤرخ قضايا اجتماعية كثيرة في الكتاب، حيث نجد مادة تاريخية خام لظاهرة تحقيق المكانة الاجتماعية، والمحاكاة والتقليد، وتتبع الموضة، والقيادة «الكارزمية»، وانتشار الأفكار في المجتمع. ولا تهدف دراسة الكتاب إلى محاولة إسقاط نظريات علم الاجتماع على موضوعه، بقدر ما تحاول أن تفتح آفاقًا بحثية لدراسة التاريخ والتراث من منظور اجتماعي واقتصادي.

روح الثقافة

يبدو من موضوع هذا الكتاب والإسقاطات التي استدل بها لتدعيم فكرته أنه لا يرى استقلالية الوعي، بل يرى أن الوعي الجمعي ظاهرة اجتماعية، وهذا هو أكثر نهج علماء اجتماع المعرفة الآن. ومن ثم فإنه لا يكفي أن نثبت ظاهرة «الناس على دين ملوكهم» تاريخيًا واجتماعيًا دون فحص لماهية هذه الظواهر التي تتغير مع كل خليفة، وهل يمكن تصنيفها بوصفها (موضة) تتغير أذواق الناس بحسب تغير الخليفة؟ أم إنها تقليد ومحاكاة لعلية المجتمع؟ أم إنها تكون جوهر الثقافة، المرتبط بكل خليفة طيلة مدة حكمه؟ وهذا الرأي الأخير هو الذي أميل إليه، فجوهر الثقافة هو، كما في «قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور»: الطابع المميز للثقافة، أي: اتجاهها أو نمطها السائد، وقد سك المصطلح سابير Sapir عام 1925م، ويعرف روح الثقافة بأنها: الاتجاهات العامة، والنظرة إلى

الحياة والمظاهر الحضارية الخاصة التي تمنح شعبًا من الشعوب مركزه المتميز في العالم. ويوجد مصطلحات مختلفة تؤدي المعنى نفسه، إذ سك شبنجار Spengier مصطلح «روح الثقافة»[1].

بدا واضحًا أن الشعوب التقليدية كانت تمثل القوة المحركة لتجانس المجتمع، من خلال بحثها عن الرمز والولع بتقليد نمط حياته في اللبس والاهتمامات، ومحاكاته. أما في العصر الحديث فقد تمايز الأفراد في إنتاج المعرفة وتقديم الذات في الحياة اليومية من خلال سيادة الروح الفردانية. ومن ثم فإن مصادر تلقي القيم والعادات الجديدة والموضة، لم تعد حكرًا على القادة السياسيين، حتى لو امتلكوا وسائل الإعلام في مجتمعهم، إذ تغير الوضع مع العولمة، وعصر تدفق المعلومات، ووسائل التأثير القوية التي تمتلك أساليب بث القيم الجديدة من خلال الآداب والفنون والسينما والثقافة، إذ صارت الأفكار تنتشر بطريقة شبكية معقدة، وليست عمودية من أعلى إلى أسفل الهرم الاجتماعي، كما هو الحال في السابق، وعامة وليست محتكرة، وبرز في هذا المجال شركات العلاقات العامة والتسويق والدعايات والإعلام، من خلال استخدام المشاهير ووسائل التواصل التقليدية والحديثة.

يبدو أن انتقال الفكرة من أعلى الهرم إلى أسفله تعد من ممارسات الحياة اليومية غير المخطط لها، وإنما تنشأ آليًا حتى ولو أريد لها غير ذلك، فانتشار الأفكار ظاهرة اجتماعية تخضع لقوانين خاصة بها، ويمكن تسمية المجتمع الذي تسري فيه الفكرة بهذا الشكل: «حقلًا». فكلمة «Field» وتعني «الحقل» مقتبسة أساسًا من حقل الكهرباء المغناطيسي

(1) إيكه هولتكرانس، **قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور**، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط 2، ص 173.

الذي يعني حيزًا جغرافيًا، يخضع لخصائص واحدة، ويسري فيه منطق واحد متناسق، حيث لاحظ علماء الاجتماع أن الأفراد ينتمون إلى حقول مميزة تخضع لمنطق واحد ضمن نسق ذهني ومعرفي واحد، ولها أماكنها وحيزها المادي والمعنوي، مثل الحقل الديني والحقل العلمي والحقل الثقافي، وهذا الحقل يختلف عن الحقل الجغرافي الذي يمثل مجتمع الدراسة الذي تجمع منه البيانات[1]. ومن هنا نلحظ، كمثال شائع، أن الإدارات العليا في كثير من المجتمعات وفي المؤسسات توجه بنشر قيم معينة مبنية على سيادة القانون، في حين أن منظومتها الأخلاقية تخالف هذا القانون بطريقة متخفية، ثم نلحظ أن المنظومة الأخلاقية هي التي تسود بين أعضاء المؤسسة، وليس القانون المعتمد.

(1) فردريك معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، بيروت: أكاديميا، ط 1، 1993م، ص 159.

أربعة مفاهيم في انتشار الأفكار في المجتمع

تعنى هذه المفاهيم أو الملاحظات التراثية بتاريخ انتشار الأفكار بين الأفراد العاديين في حياتهم اليومية، وما يؤثر في ميولهم وأذواقهم في الفنون وملبسهم، وسلوكهم، كما ترد في التراث العربي. ومن ثم فهي لا تعنى بتاريخ الأفكار البنائية التي تبحث في النظريات الانتشارية[1] في الحضارات، ونظرية المركزية الأوروبية[2]، وما بعد المركزية الأوروبية، أو العوامل الفكرية المؤثرة في عصور التنوير أو التخلف، فهذه القضية مخدومة وحولها دراسات كثيرة. ولذا؛ يمكن القول بأن هذه الدراسة تهتم بظاهرة انتشار الأفكار الفردية المؤقتة، والتي تتغير بتغير الظرف الذي نشأت فيه، وهي غالبًا ما تكون انتهاء مدة حكم الخليفة في المجتمع التقليدي القديم، أو مرور سنة تقريبًا في المجتمع الحديث، بحكم أن الاهتمامات والأفكار صارت تخضع لأسس تسويقية رأسمالية.

تُقسم أدبيات علم الاجتماع، المجتمعات إلى قسمين، هما: المجتمع

(1) تهتم النظرية الانتشارية بالبحث في أسباب انتشار الثقافة والعادات بين الشعوب، وفي داخلها نظريات مختلفة، من أبرزها: التمركز الجغرافي، وترى أن مصدر جميع الثقافات منطقة جغرافية حضارية واحدة، ثم انتشرت منها. ومنها نظرية الانتشار الثقافي عن طريق الاتصال والتواصل بين الشعوب، ومنها نظرية الانتشار بالخبرة، من خلال اعتماد كل حضارة على خبراتها، ويصادف أن تتوصل كثير منها إلى منتج ثقافي واحد.

(2) تهتم نظرية المركزية الأوروبية بمحاولة إثبات أن أوروبا هي مركز العالم وأصل الحضارات. وقد أصبحت من النظريات القديمة لعدم تماسكها أمام النقد الموجه لها.

التقليدي، ومن أبرز سماته الاجتماعية: التجانس الكبير بين سلوك أفراده، وبطء التغير في عاداته وتقاليده. والمجتمع الحديث، ومن أبرز سماته الاجتماعية: التعقيد في العلاقات وفي السلوك، وسرعة التغير. ومن هنا يمكن القول بأن تاريخ التفكير الاجتماعي العربي، بوصفه يحمل سمات المجتمع التقليدي، الذي يشمل القرون الثلاثة الأولى، وهي المدة الزمنية التي يغطيها كتاب اليعقوبي، قد عرف أربعة مفاهيم تفسر ظاهرة انتشار الأفكار في المجتمع. وهي كما يلي:

1 - الناس على دين ملوكهم

هذا المفهوم هو الأكثر التصاقًا بموضوع هذا الكتاب، ويمكن أن نتتبع جذور هذه النظرية في التراث العربي باعتبار المقولة المشهورة: «الناس على دين ملوكهم»، أساسًا في هذا الموضوع، ويراد بها البنية الاجتماعية المتمثلة في الخلفاء، بوصفهم المهيمنين على السلطة للجهات التشريعية والتنفيذية لمؤسسات الدولة، وهي نظرية اليعقوبي في هذا الكتاب، وللجاحظ قبله رسالة صغيرة طبعت بعنوان: «رأي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين»، تتبع فيها الصورة الذهنية الشائعة في المجتمع الإسلامي في عهد الخلافة والعصر الأموي، ومع تحامله الواضح على الأمويين، إلا أنها رصدت رأي الشارع من منظور اجتماعي، وافتتح رسالته بقوله: «**فالطبقة الأولى: عصر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وست سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه، كانوا على التوحيد الصحيح، والإخلاص المحض مع الألفة، واجتماع الكلمة على الكتاب والسُّنة، وليس هناك عمل قبيح، ولا بدعة فاحشة، ولا نزع يدٍ من طاعة، ولا حسد ولا غلّ...**»[1].

---

(1) الجاحظ، **رأي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين**، عني بنشرها وصححها السيد عزت العطار الحسيني، (د. ن)، 1365هـ، ص 10.

ودخل المجتمع في حروب وفتن كالجمل وصفين والنهروان حتى مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]، ثم تحدث عن عهد معاوية رضي الله عنه بأنه عهد ظلم اجتماعي[2]، ووصف عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وعاملهما الحجاج بن يوسف، ويزيد بن أبي مسلم بأنه عهد جور وظلم وتعدٍ على حرمات الله تعالى[3]، ولكن الجاحظ ألمح إلى أن ظاهرة العصبية القبلية والشعوبية التي ظهرت في العصر الأموي، نشأت اجتماعيًا وبمبادرة من الشعوبيين والموالي[4]، وذلك من خلال المنتج المعرفي المتمثل في المؤلفات والأشعار التي تتضمن استدعاء المواقف التاريخية التي تنقص من شأن العرب وتكثيفها ضدهم للتقليل من إنجازاتهم وعاداتهم، مقابل تمجيد حضارة الفرس. ومن ثم فهي ليست صناعة سياسية، كما يرى بعض الباحثين.

ذكر أبو منصور الثعالبي (350 ـ 429هـ) في «لطائف اللطف» فصلًا في «ذكر الغالب على ملوك بني أمية وكون رعاياهم على أخلاقهم»، إذ يقول: «**حدَّث الهيثم بن عدي، قال: كان الأغلب على عبد الملك بن مروان حب الشعر، فكان الناس في أيامه يتناشدون الأشعار، ويتدارسون أخبار الشعراء، ويعنون بها، وكان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء، واتخاذ المصانع، واعتقاد الضياع، وكان الناس في أيامه يخوضون في رصف الأبنية، ويحرصون على التشييد والتأسيس، ويولعون بالضياع والعمارات. وكان الأغلب على سليمان بن عبد الملك حب الطعام والنساء، فكان الناس في أيامه يصفون ألوان الأطعمة، ويذكرون أطايبها**

(1) الجاحظ، رأي أبي عثمان، مرجع سابق، ص 13.
(2) الجاحظ، رأي أبي عثمان، مرجع سابق، ص 16.
(3) الجاحظ، رأي أبي عثمان، مرجع سابق، ص 20.
(4) الجاحظ، رأي أبي عثمان، مرجع سابق، ص 25 ـ 26.

وغرائبها، ويستكثرون من الحرص على أحاديث النساء، ويتساءلون عن تزوج الحرائر، والاستمتاع بالسراري، ويتجارون في الباه، وكان الأغلب على عمر بن عبد العزيز حب القرآن والصلاة والصوم، وكان الناس في أيامه يتلاقون، فيقول الرجل لأخيه: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختمه؟ وكم صليت البارحة؟ وصلاتك في المسجد أكثر أم في بيتك؟ وهل أنت صائم؟ وما تصوم من الشهر؟ وكان يزيد بن عبد الملك يحب الخيل والقيان، وكان الناس يتنافسون في اختيارها، ويتقربون إليه بانتخاب الأجود والأحسن منها، وإهدائها إليه. وكان هشام ابن عبد الملك يحب الثياب، ونفائس اللباس، وكان الناس يتبارون في التجارة فيها، ويستبضعون ألوانها، ويتواصفون أنواعها. وكان الوليد بن يزيد صاحب لهوٍ وشراب وسماع، وكان الناس في أيامه يتشاغلون في الملاهي، ويترخصون في النبيذ، ويقولون بالسماع، وقد صدق من قال: إن الناس على دين ملوكهم، والسلطان سوق، يجلب إليها ما ينفق فيها»[1].

يبدو من هذا النص أن الشام أيام الأمويين كانت مجتمعًا صغيرًا بشكل يمكن أن تهيمن عليه حياة البساطة، وتنتشر فيه أفكار الخلفاء وأعوانهم وعاداتهم الاجتماعية بسرعة، ثم تتحول تلقائيًّا إلى عادات للمجتمع، وإذا استثنينا الوليد وعمر فإن العادات التي ينشرها بقية الخلفاء الذين أشار إليهم النص هي من عادات الاستهلاك المظهري.

استمر العلماء والمؤرخون في رصد الظاهرة أو أجزاء منها بعد اليعقوبي، إذ ذكر أبو حامد الغزالي (450 ـ 505هـ) في كتاب: «التبر المسبوك في نصيحة الملوك»، وهو كتاب في السياسة الشرعية: «**(كما تكونوا يولَّ عليكم) فقد صح بهذا الحديث أن أفعال الخلق عائدة إلى**

(1) عبد الملك بن محمد الثعالبي (أبو منصور)، **لطائف اللطف**، تحقيق عمر الأسعد، بيروت: دار المسيرة، 1407هـ/ 1987م، ص 70 ـ 71.

أفعال الملك، أما ترى أنه إذا وصف بعض البلاد بالعمارة وأن أهله في أمان وراحة ودعة وغبطة فإن ذلك دليل على عدل الملك وعقله وسداده وحسن نيته في رعيته، ومع أهل ولايته، وأن ليس ذلك من الرعية؟ فقد صح ما قاله الحكماء: (الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم). وقد جاء في الخبر أيضًا (الناس على دين ملوكهم)»[1]. ويبدو أن مسألة انتشار الأفكار لم تنل اهتمام الغزالي، فقد ركز على سياسات الملوك، وليس سلوكهم وعاداتهم، إلا أنه يؤيد قوة نفوذ الملوك في روح الشعب.

يقول ابن الطقطقي (660 ـ 709هـ) في كتاب: «الفخري في الآداب السلطانية»: «**واعلم أنّ للملك أمورًا تخصّه يتميز بها عن السوقة، فمنها: أنه إذا أحبّ شيئًا أحبه الناس، وإذا أبغض شيئًا أبغضه الناس، وإذا لهج بشيء لهج به الناس إمّا طبعًا أو تطبّعًا، ليتقربوا بذلك إلى قلبه، ولذلك قيل: (الناس على دين ملوكهم). فانظر كيف كان زيّ الناس في زمن الخلفاء، فلما ملكت هذه الدولة ـ أسبغ الله إحسانها وأعلى شأنها ـ غيّر الناس زيّهم في جميع الأشياء، ودخلوا في زيّ ملوكهم بالنطق واللباس، والآلات والرّسوم والآداب، من غير أن يكلّفوهم ذلك أو يأمروهم به أو ينهوهم عنه، ولكنهم علموا أن زيّهم الأوّل مستهجن في نظرهم، منافٍ لاختيارهم؛ فتقرّبوا إليهم بزيّهم، وما زال الملوك في كلّ زمان يختارون زيًّا وفنًّا، فيميل الناس إليه ويلهجون به، وهذا من خواصّ الدولة وأسرار الملك**»[2].

ويبدو أن ابن الطقطقي أبدع في تتبع ظاهرة انتشار الأفكار باهتمامه بمصادر سلوك العامة ـ الذين سماهم السُّوقة ـ وأضاف ملحوظة جديرة

---

(1) محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد). **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1409 هـ، ص 52.

(2) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، بيروت: دار صادر، (د. ت)، ص 26.

بالاهتمام، وهي قوله: «من غير أن يكلفوهم ذلك، أو يأمروهم به، أو ينهوهم عنه»، وهذا يعني وجود قوانين اجتماعية «ميكانيزم» متخفية في العادات والتقاليد والممارسات اليومية تحرك العامة، إما بقوة التاريخ المتوارث والمتعارف عليه ضمنيًا، وإما بسبب التفوق الثقافي للنخب السياسية، مما جعلهم مصدرًا لإعجاب العامة بهم، وتقليد نمط لبسهم، والأخذ بعاداتهم.

رصد ابن الطقطقي الظاهرة بشكل موسع، إذ يقول: «**كان الوليد من أفضل خلفائهم سيرة عند أهل الشام، بنى الجوامع، جامع دمشق، وجامع المدينة، على ساكنها أفضل السّلام، والمسجد الأقصى. وأعطى المجذّمين، ومنعهم من سؤال النّاس. وأعطى كلّ مقعد خادمًا، وكلَّ ضرير قائدًا، وفتح في خلافته فتوحًا عظامًا، منها الأندلس وكاشغر، والهند، وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية، واتّخاذ المصانع والضّياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فيسأل بعضهم بعضًا عن الأبنية والعمارات. وكان أخوه سليمان يحبّ الطعام، فكان الناس في خلافته إذا التقوا، سأل بعضهم بعضًا عن الطعام. وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة، فكان الناس إذا تلاقوا في أيّامه سأل بعضهم بعضًا: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ وكم تقوم من الشّهر؟ وهذا من خواصّ الملك التي تقدّم شرحها**»[1].

أشار المؤرخ ابن كثير (701 ـ 774هـ) إلى هذه الظاهرة بوصفها ملحوظة شعبية دون أن يعلِّق عليها، إذ يقول في ترجمة الوليد بن عبد الملك: «**وقالوا: وكانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟ وكانت همة أخيه**

(1) ابن الطقطقي، الفخري في **الآداب السلطانية**، مرجع سابق، ص 127.

سليمان في النساء، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم تزوجت؟ ماذا عندك من السراري؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن، وفي الصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم وردك، كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة؟»[1].

يبدو أن التفاعل الرمزي العابر في الحياة اليومية الذي يلقى فيه الرجل الرجل، ويسأله بهدف قياس أداء العادات والتقاليد التي انتشرت في عصرهم هي التي ترسم الصورة الذهنية للمجتمع وتوسع من انتشارها الشعبي؛ مما يعطيها طابع الرسوخ حتى تتغير بقوة عادات جديدة تأتي من شخصية قيادية بحجم الخلفاء. وتمثل فكرة «الناس على دين ملوكهم» أن العادات التي تبدو في ظاهرة مسألة نفسية أو ذوقية شخصية مثل الزهد واللبس والهوايات، إنما هي ظواهر اجتماعية تتحرك بقوة المجتمع، وليست نفسية أو شخصية مستقلة عن المزاج العام.

يظهر من هذه النصوص أن المؤرخين اكتفوا بنقل ملاحظات رجل الشارع أو الطبقة الوسطى في عصورهم، أو أنهم لاحظوها كما لاحظها غيرهم من الناس العاديين، دون أن يبحثوا في الفيزياء الاجتماعية التي تحركهم، ومع ذلك فهذه الملحوظة تلفت الانتباه إلى أهمية دراسة المجتمع العربي وممارسات الإنسان العادي في حياته اليومية، وتتبع أفكاره العامة. ولكن تميز هذا الكتاب، كما سيأتي، برصد الظاهرة مع إخضاعها للتحقق، وإجراء رصد اجتماعي شمل واحدًا وثلاثين خليفة، وأضاف عمقًا في الملاحظة التاريخية من خلال تنبُّهه للمرحلة الحاضنة لانتقال الأفكار من الخليفة إلى المجتمع، وهم طبقة النخب السياسية مثل الولاة والأمراء والكتَّاب. وبذلك يكون أحد أهم مؤسسي ظاهرة

(1) إسماعيل بن كثير (أبو الفداء). **البداية والنهاية**، تحقيق مجموعة من العلماء والباحثين، دمشق: دار ابن كثير، ط 2، 2010م، ج 9 ص 354.

انتشار الأفكار وصناعة الموضة في المجتمع، وسيأتي تفصيل دراستها وتفسيرها. وهذه النظرية تعكس اهتمام هذا الكتاب بدقة كبيرة.

لا يختلف الإنسان العادي في مجتمع العصر الإسلامي الأول عن إنسان اليوم في ممارسة حياته اليومية، وفي سعيه لتحسين تقديم ذاته من أجل تحقيق المكانة الاجتماعية أو الاعتراف به من خلال محاكاة النخب والمشاهير، إذ إن متابعة الموضة اليوم هي إعادة إنتاج لفكرة «الناس على دين ملوكهم»، من حيث إن الإنسان العادي يبحث عما يحقق له المكانة الاجتماعية في تقليد رموز المجتمع ومشاهيره في عاداتهم ولبسهم وهواياتهم. والموضة بمفهومها الواسع تشمل كل فكرة متجددة موسميًا، أو مؤقتًا في جميع المجالات التي يتعامل معها الإنسان، مثل: اللبس والأثاث والتصميم والعادات، وتكتسب قوتها من اهتمام المشاهير والنخب بها، وتفقد أهميتها إذا أهملوها؛ إذ إن المشاهير والنخب يملكون عنصر «الثقة» في لبسهم وفي اهتماماتهم واستخداماتهم للأشياء اليومية.

2 - كيفما تكونوا يولَّ عليكم

يقابل الملاحظة الاجتماعية التاريخية: الناس على دين ملوكهم، ملاحظة أخرى هي: (كيفما تكونوا يولّ عليكم)، وهي نظرية مضادة، ترى أن الأصل في تغير المجتمع هو الأفراد، وليس القادة والرموز الاجتماعية والسياسية. ولأبي بكر الطرطوشي (451 ـ 520هـ) ملاحظة اجتماعية، إذ يقول: «**لم أزل أسمع الناس يقولون: أعمالكم عُمَّالكم، (كما تكونوا يولَّ عليكم)، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1]، وكان يقال: ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك. وقال عبد الملك بن مروان:**

(1) سورة الأنعام، الآية: 129.

أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما؟ نسأل الله أن يعين كلًا على كل... وقال عَبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، ما بال أبي بكر وعمر انطاع الناس لهما، والدنيا عليهما أضيق من شبر، فاتسعت عليهما، ووليتَ أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما، وقد اتسعت فصارت عليكما أضيق من شبر؟ فقال: لأن رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان، ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك!»[1].

يمثل هذا المفهوم العام الذي أشار إليه الطرطوشي رصد للعقل الجمعي، وسلوك الشعوب، من صلاح أو فساد، وأن الملوك هم أفراد من المجتمع، ومن إنتاجه المعرفي، وليس القصد منها، فيما يبدو، أن المجتمع يؤثر في عادات الخلفاء والملوك واهتماماته الشخصية.

3 - تأثير المناخ على الاهتمامات والأذواق

ترى هذه الملاحظة أن المناخ هو الذي يؤثر في تفكير الناس واتجاهاتهم وتفضيلاتهم وأذواقهم واكتسابهم للمعرفة، ويحدد اتجاهاتهم الفكرية والذوقية، ومن ثم فهذه ملاحظة مختلفة جذريًا. ويعد صاعد الأندلسي، مؤلف الكتاب الشهير «طبقات الأمم»، أول مفكر عربي يقدم نموذجًا متكاملًا عن أن تطور النظام المعرفي في جميع الأمم مشروط بتوزعها الجغرافي، إذ إن المناخ له تأثير كبير وحاسم في صياغة الأشكال المعرفية عند الشعوب، وقسم صاعد المناخ إلى ساخن، ومعتدل، وبارد، ثم وزع المعارف، والأمزجة، والأذواق عليها[2]. كما صنف الأمم إلى صنفين عامين هما: الأمم العالمة، والأمم غير العالمة، وذلك استنادًا إلى وضعها

---

(1) محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (أبو بكر)، **سراج الملوك**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1414هـ، ج 2 ص467 ـ 468.

(2) معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، ص 288.

المناخي. كما قسم صاعد الأمم إلى سبع أمم، هي: الفرس، والكلدان، واليونـان، والقبط، والتـرك، والهنود، والصيـن. وهذه الأمم تنقسـم إلى طبقتين، هما:

طبقة عُنيت بالعلوم وأنتجت فنون المعارف، وهي ثمان أمم، هي: الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والأقباط والعرب، ويربط صاعد حضارة كل أمة بلغتها، فلا حضارة عنده بدون لغة تميزها[1]. فمحرك الحضارة ومنتجها المعرفي هو اللغة، ولكن المناخ هو الذي يفعّلها[2]. ولم يحل صاعد إشكالية ضرورة اللغة والمناخ، ولكنه أعطى للمناخ المعتدل أهمية أكبر على أنه ينشط الأذهان ويفتح الذكاء، ويرى صاعد بأن الأمم التي تقع في مناخ معتدل تتميز بسرعة البديهة، والفكر، والابتكار، والإبداع، وتستخدم لغتها الخاصة بها لتعميق منتجها المعرفي والفكري الذي يتضمن العلوم والفلسفة والدين والفنون[3].

والطبقة الثانية هي الطبقة لم تُعْن بالعلوم، فلم ينقل عنها فائدة، ولا رويت لها حكمة، وجعلها الأمم التي تقع في أقصى بلاد الشمال ما بين آخر الأقاليم السبعة، وأن بعد الشمس عنهم تسبب في برودة الهواء، فصارت أمزجتهم باردة وأخلاقهم فجَّة، فعظمت أبدانهم، وابيضت ألوانهم، وانسدلت شعورهم، فعدموا بهذه دقة الإفهام وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة، كالصقالبة والبلغر ومن اتصل بهم. ومن كان منهم ساكنًا قريبًا من خط معدل النهار وخلفه إلى نهاية المعمورة من الجنوب، فطول مقاربة الشمس لسمت رؤوسهم أسخن هواءهم، فاسودت ألوانهم،

(1) وكأن صاعدًا يقول: لن تبني أمة حضارة بلغة مستعارة من حضارة غيرها، وإلا فإن كل ما تستنتجه من حضارة سيكون تابعًا لا مستقلًا لها. ومن هنا يتأكد أن الاهتمام باللغة العربية وتطويرها، جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية المستقلة.

(2) معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، ص 291.

(3) المرجع نفسه، ص 292.

وتفلفلت شعورهم، فعدموا بهذه رجاحة الأحلام، وغلب عليهم الطيش وفشا فيهم الجهل، وضرب مثالًا ببعض بلاد أفريقيا[1].

هذا ملخص نظرية صاعد، وقد ذكرها مفصَّلة في كتابه: «طبقات الأمم»، ولها استخدام مستمر في العمارة، إذ يفرض النمط المناخي في كل مجتمع طريقة البناء، وتوزيع النوافذ، واستخدام العوازل الحرارية، والتكييف. أما فيما يخص التأثير على السلوك فهي بدائية بمعايير العلم اليوم، ولكنها كانت تمثل خطوة مهمة في التفكير الاجتماعي ومحاولة قياس العلاقة بين المتغيرات وقوتها.

جاء ابن خلدون بعد صاعد، وعمَّق نظرية تأثير المناخ على المزاج العام، وبناء الحضارة، وحللها بطريقة تبحث في تعقيداتها على شكل فصول توضح فكرة التأثير البيئي، مثل حديثه عن: أن شمال الأرض أكثر عمرانًا من جنوبها[2]، وخصص فصلًا بعنوان: «في المعتدل من الأقاليم والمنحرف، وتأثير الهواء في ألوان البشر، والكثير من أحوالهم»[٣]، وأهم الفصول التي تحدث فيها بشكل مباشر عن العلاقة بين متغيري الأخلاق والبيئة، هو «المقدمة الرابعة: في أثر الهواء في أخلاق البشر»[4].

لم أتوسع في نقل ملاحظة ابن خلدون لعدم التصاق تأثير المناخ في اكتساب المعرفة والأذواق وإنتاجها بنظرية هذا الكتاب بشكل مباشر، ولأنه ليس من السهل وصف نظرية ابن خلدون باقتصار تناقل الأفكار على تأثيرات البيئة، كما أن لديه ملاحظة أخرى تتمثل في أن العامل المؤثر

(1) معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، ص 293.

(2) عبدالرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبدالسلام الشدادي، الدار البيضاء: بيت الفنون والعلوم والآداب، ط 1، 2005، ج 1 ص 79.

(3) ابن خلدون، المرجع نفسه، ج 1 ص 132.

(4) ابن خلدون، المرجع نفسه، ج 1 ص 138.

في إنتاج الأفكار هو الغذاء، ولكنها تؤكد فكرة أن الأذواق والاتجاهات النفسية والاختيارات الخاصة ليست ظاهرة نفسية منعزلة عن المجتمع والبيئة.

4 - تأثير بعض الأطعمة على الأفكار والمزاج العام

اهتم ابن خلدون بظاهرة تحليل تأثير الأغذية على الأجسام، ومن ثم انعكاسها على المزاج عند الشعوب، وجعل فصلًا عنوانه: «المقدمة الخامسة: في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم»[1]. حلل فيه بملاحظة ذاتية بسيطة انعكاس خصائص بعض النباتات على التفكير والأخلاق، وانعكاس طبائع بعض الحيوانات على أخلاق من يأكلها، وكذلك انعكاس الجوع على تدعيم صفات التحمل والصبر والتأمل. ويمكن مراجعة نظرية ابن خلدون في «المقدمة»، وإنما أشرت إليها لمناسبتها لسياق النظريات المؤثرة في أفكار الناس في حياتهم اليومية.

إذن؛ نلحظ وجود جهود تراثية كبيرة، وقلق معرفي لدى علماء الاجتماع والمؤرخين العرب، في التعرف على الآليات التاريخية التي تحكم سلوك الناس، والقوانين الاجتماعية التي تضبطها، ويبدو لي أن كثيرًا من هذه العادات والأفكار لا تنشأ في المجتمع بسبب واحد، بل تتضافر مجموعة أسباب نفسية واجتماعية وتاريخية تمهد لانتشار الأفكار في المجتمع، ومن بينها فكرة الموضة الموسمية.

مفاهيم اجتماعية حول الموضة

يهدف التعريف بالمفاهيم إلى توسيع مجالات المفاهيم حول انتشار الأفكار والأذواق والاتجاهات بين الناس في حياتهم اليومية، وهل هي

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ج 1 ص 141.

ظاهرة اجتماعية أم مسألة شخصية، وهل هي إرادة ذاتية أم قسرية تعمل بضغط المجتمع؟ وتقدم مناقشة مسألة التقليد والمحاكاة، وتأثير السلاطين غير المباشر في المجتمع، وبقي أن يُناقش مسألة الموضة بوصفها تمثل انتشار الأفكار في المجتمع ومشاكلة الناس لزمانهم، وليست فكرة هذا الكتاب أن تعكس الموضة في المجتمع العربي القديم بشكل متكامل، إذ إن الموضة تعد ظاهرة حديثة ظهرت مع ظهور الرأسمالية، وهي عملية اقتصادية مقننة بعلامات تجارية وتصنيع واستهلاك.

الموضة هي عملية اجتماعية رئيسية يمكن أن تساعدنا على فهم العلاقات الاجتماعية بشكل عام، من آليات التقليد والتمييز إلى تشكيل الهوية، والعرق، والجنس، والإنتاج والاستهلاك[1]. وإن «لغز» تغيرات الموضة قد فتن ليس فقط الاقتصاديين وعلماء الاجتماع، والمؤرخين الاجتماعيين وعلماء الأنثروبولوجيا الثقافية، ولكن أيضًا الفلاسفة والأخلاقيين والشعراء والكتّاب المسرحيين والروائيين. ومع ذلك، هناك الكثير من الارتباك حول ما هي الموضة في الواقع. كما أوضحه كاوامورا[2].

يلحظ من عرض مفاهيم الموضة عند العرب أنها عملية قسرية من الناحية الاجتماعية، حيث يضفي عليها الإنسان معاني عقلانية لتسوغ له شرعية اجتماعية لمتابعتها، كما أن الموضة المتعلقة باللبس أو العمارة أو الهويات كلها ذات طابع نفعي، وليست عبثية، إضافة إلى أن الخلفاء، وهم صنّاع الموضة والعادات الاجتماعية لا يستهدفون التمايز بقدر ما يشبعون رغبات ذاتية، وهي تقع على مسافة قريبة اجتماعيًا من الطبقات

(1) Patrik Aspers. Fr´ed´eric Godart. **Sociology of Fashion: Order and Change**, online published, 2013 171 _ 92. p 187.

(2) P. Aspers. F. Godart. Ibid, p 157.

الوسطى بحيث يمكن الاقتداء بها، وليس كما هو الحال الآن كالذي يقتني فيه الأثرياء والوجهاء الشغوفين بالموضة والماركات ملابس وساعات وسيارات بمبالغ كبيرة، لا يمكن الاقتداء بها إلا بحدود الماركات المقلدة.

الموضة هي ظاهرة اجتماعية عامة للانتشار، ولكنها في كل من الحياة اليومية وفي العلوم الاجتماعية تعني في المقام الأول الملابس، وخاصة الأزياء الراقية. ومع ذلك، حددت بالفعل Blumer نطاقًا أكبر من الموضة، تتمثل في: الرسم، والموسيقى، والدراما، والهندسة المعمارية، والديكور المنزلي، والترفيه، والأدب، والممارسة الطبية، وإدارة الأعمال، والمذاهب السياسية، والفلسفة، والعلوم النفسية والاجتماعية، وحتى المجالات المشكوك فيها مثل العلوم الفيزيائية والرياضيات[1].

يمكن عد هذا الكتاب وثيقة تاريخية تؤكد المسافة الثقافية والحضارية بين المجتمع العربي والمجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، حيث كانت الموضة والتمايز الاجتماعي مغيبًا في حياتهم اليومية، وخاصة في الأزياء، إذ يراها زيمل Simmel بأنها تمثل «الحاجة إلى التمييز» و«الحاجة إلى الاتحاد» كشروط مسبقة للأزياء. ومن ثم، تفتقر بعض المجتمعات إلى الدافع الضروري. وأشار إلى أنه في فلورنسا في القرن الرابع عشر، كان اللباس الرجالي خاليًا من الموضة. وكانت «الحاجة إلى الاتحاد»، والحاجة إلى التعبير عن كيفية تمييز مجموعات معينة عن الآخرين بمساعدة الأزياء، غائبة، ويمكن لأي شخص أن يرتدي ملابسه حسب تفضيلاته الشخصية. ومن أمثلة زيمل الأخرى البندقية في الوقت

(1) Fashion, **Sociology of Sellerberg Ann-Marie**, Lund University, Lund, Sweden Aspers Patrik, Uppsala University, Uppsala, Sweden. 2015 Elsevier Ltd. All rights reserved. This article is a revision of the previous edition article by M. Sellerberg, Volume 8, pp. 5411 _ 5415, 2001, Elsevier Ltd.

نفسه. مرة أخرى، نجد أن الموضة غائبة عن اللباس العلوي. طلب من الأرستقراطيين الفينيسيين أن يرتدوا ملابس سوداء بحيث لا تعلم الطبقات الدنيا كم كانوا. لم يرغبوا في تمييز أنفسهم، وبالتالي فإن «الحاجة إلى التمييز» التي تتطلبها الموضة كانت مفقودة. يمكن تفسير «زيهم» على أنه بُعد واحد لما يشكل مجموعة وضعهم، كما يسميها ويبر[1].

يفسر عدد من علماء الاجتماع الأزياء على أنها تعبير عن البحث عن الهوية الشخصية في عالم غير آمن، وأنها تمثل تعبير عن القلق الذي يصور عصرنا. ومن ثم فإنهم يفسرون هذا في بعض الأحيان على أنه ظاهرة سلبية. ويعتقد **Blumer** أن عملية الموضة تصبح طبيعية في عالم متغير حيث يجب على الناس قطع علاقاتهم مع الماضي باستمرار. ويتم تحرير الأفراد من النماذج السابقة، وتوجيه أنفسهم نحو المستقبل. وتبرز أهمية الموضة بشكل واضح بين أولئك الذين يتبعون أو يحاولون تحديد الموضة، وبعضهم يتحول إلى «ضحايا أزياء»، كما هو الحال بين أولئك الذين يناقشون بنشاط من أجل مضاد. بغض النظر عن الموقف الذي يكون لدى الشخص، من الصعب أن يبقى «خارج» الموضة[2].

النظريات الاجتماعية المفسِّرة لانتشار الأفكار

1 - نظرية : القهر الجمعي

تعد نظرية القهر الجمعي Contrainte، وقد تترجم إلى القسر والإكراه، لعالم الاجتماع الفرنسي إيميل دوركايم، من أبرز النظريات الاجتماعية الكلاسيكية التي تفسر الظاهرة الاجتماعية المترسخة. وقد تحدث دوركايم عن القهر الجمعي في سياق تحليله لمفهوم الظاهرة الاجتماعية،

(1) **Fashion**, Ibid, p 50.

(2) **Fashion**, Ibid, p 135

بوصفها نوعًا من السلوك والتفكير التي يمكن تمييزها عن غيرها بأنها تستطيع التأثير في شعور الأفراد تأثيرًا قهريًا[1]، بمعنى أن الأفراد يلتزمون بما تمليه عليهم العادات والتقاليد الاجتماعية ويتغيرون مع تغيرها، وتفيد هذه النظرية في فهم ظاهرة مشاكلة الناس لزمانهم التي تتكرر عبر العصور بأشكال مختلفة ومتجددة، ولماذا ينساق الناس لتقمص عادات وتقاليد الخلفاء برغبة منهم ودون توجيه أو ضغط عليهم ولا حتى إيحاء. ويؤكد دوركايم كثيرًا في هذه الجزئية على أن المزاج العام للمجتمع يخضع لقوانين تميزه عن مزاج الأفراد، إذ يقول:

«ولكن الحالات النفسية التي تمر بها بشعور الجماعات تختلف في طبيعتها عن الحالات التي تمر بشعور الفرد، وهي تصورات من جنس آخر، وتختلف عقلية الجماعات عن عقلية الأفراد، ولها قوانينها الخاصة بها... ولذا؛ فإن أردنا فهم الفكرة التي يكوِّنها المجتمع عن نفسه، وعن العالم الذي يحيط به، فلا بد لنا من دراسة طبيعة هذا المجتمع لا طبيعة أفراده»[2]، ذلك لأن القهر لا يتضمن شيئًا آخر غير المعنى الآتي وهو: أن ضروب السلوك والتفكير الاجتماعيين أشياء حقيقية توجد خارج ضمائر الأفراد الذين يجبرون على الخضوع لها في كل لحظة من لحظات حياتهم... ولكن ليس من الممكن أن توجد ظاهرة اجتماعية ما إلا بشرط أن يقوم عدة أفراد على الأقل بعمل مشترك بينهم، وإلا بشرط أن يؤدي عملهم هذا إلى نتيجة من نوع جديد»[3].

---

(1) إميل دوركايم. **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، إسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 38.

(2) المرجع نفسه، ص 32 ـ 33.

(3) المرجع نفسه، ص 42 ـ 43.

ويمكن أن تكون هذه النظرية منهجًا لتفسير الظاهرة، ومدخلًا أيضًا في سياق انتشار الأفكار بشكل غير مباشر، وأوضح أن القهر ليس هو كل ما يميز الظاهرة الاجتماعية عن غيرها، بدليل «أن هذه الصفة نفسها تبدو أحيانًا بمظهر مضاد، فالنظم الاجتماعية تفرض نفسها علينا، ولكننا نتمسك بها طوعًا في الوقت نفسه، فهي تجبرنا، ولكننا نتعلق بأهدابها، وهي تقهرنا على بعض الأمر، فنجد أن منفعتنا تنحصر في تأدية هذه الظواهر لوظائفها»[1]. وتمتاز نظرية القهر بأنها وسعت مجالات البحث لفهم أسباب انتشار الأفكار، وأكدت على أنها ظاهرة اجتماعية، وليست نفسية. إذ يرى دوركايم أن المجتمع هو الذي يفرض أشكال السلوك والاتجاهات الفكرية والاهتمامات، أي: إن الحكام هم صناعة اجتماعية، وسلوكهم ناتج من المزاج العام، ومن ثم فهي، وفق دوركايم، عملية تأثير من المجتمع على الأفراد.

2 - التقليد والمحاكاة

يرجع عالم الاجتماع الفرنسي جبرائيل تارد كل الظواهر الاجتماعية إلى الفرد، وإلى الحالات النفسية (سيكولوجية)[2]. وهو يؤسس بذلك لعلم النفس الاجتماعي[3]، وبذلك تختلف نظريته جذريًا عن نظرية القهر الجمعي لدوركايم. وسوف أقدم تلخيصًا لأهم عناصر نظرية التقليد والمحاكاة، لارتباطها بشكل كبير بنظرية مشاكلة الناس لزمانهم، وتطابق كثير من آراء تارد مع اليعقوبي، إلا أن تارد أسس لنظريته منهجيًا، وقدمها متماسكة، ومتكاملة، ويلحظ أنه لم يربطها بالموضة على الرغم من أنها تحمل شروطها الأساسية، وربما يعود ذلك لقدم دراسته وقبل أن تأخذ

(1) إميل دوركايم، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ص 39 هامش 1.

(2) السيد محمد البدوي. **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مصر، ج3 ع 6 سنة 1965م، ص 457.

(3) دعا تارد إلى إنشاء علم جديد عام 1898م، يقوم على ما أسماه تفسير: «**المسالك الاجتماعية بين الأفراد**»، معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 310.

نظرية الموضة مفاهيمها العصرية. وقد درس بدوي كتاب: «قوانين التقليد» لجبرائيل تارد معتمدًا على النسخة الفرنسية المطبوعة في باريس بعنوان (1921) «Les lois de I'Imitation» ويعد أهم من لخص نظريته بوضوح.

شرح تارد نظريته في كتاب «قوانين التقليد»، وقال فيه:

«إن المجتمع لا يستطيع أن يعيش ولا أن يخطو خطوة للأمام، ولا يطور نفسه بدون أن يعتمد على ينبوع الروتين الذي لا ينضب»[1].

ويدعم تارد نظريته من خلال تعريفه الخاص بمفهوم المجتمع، فهو:

«مجموعة من الناس تربط بينهم روابط؛ إما لأنهم يقلدون بعضهم بعضًا، وإما لأن بينهم نوعًا من التشابه والصفات العامة، وهي في مجموعها عبارة عن صور متكررة لنموذج واحد... إننا إذا حللنا عقول الأفراد وجدنا أنها تتكون من مجموعة من الأفكار والآراء التي تصدر عن التقليد والتكرار، ويندر أن تكون أفعال الناس مبتكرة، كما أنه من المستحيل تقريبًا أن نجد ابتكارًا لا يعتمد في بعض نواحيه على القديم»[2].

ويلحظ تركيز تارد هنا على أصالة التقليد المتوارث عبر الأجيال بوصفه شرطًا لنشوء الظاهرة الاجتماعية، وقد توغل تارد في فحص الظاهرة الاجتماعية، وخاض في تعقيداتها، وحاول أن يتلمس محددات هذا التوارث والتقليد، وتتبع أصوله من خلال القوانين المنطقية للتقليد.

يقسم تارد القوانين المنطقية قسمين هما: قوانين منطقية، وقوانين لا

---

(1) البدوي، **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مصر، ج3 ع 6، ص 468.

(2) المرجع نفسه، ص 468.

دخل للمنطق فيها، وهي تتحدث وفق التفاعل التالي: تبدأ بموجة التقليد بالانتشار في المجتمع، فتصطدم بموجات أخرى تحركها اتجاهات مخالفة، فيحدث التردد عند الفرد نتيجة تصارع قوتين متعادلتين، ولا بد أن ينتهي هذا الصراع بانتصار أحدهما، ويسمي تارد هذا الصراع «المبارزة المنطقية» Duel Logique، أو ينتهي باتفاق يؤدي إلى اختراع صغير جديد، ويسمي تارد هذا الاختراع «التزاوج المنطقي» accouplement Logique، ويفترض تارد أنه لا ينتشر من الاختراعات الاجتماعية أو الصناعية التي تتحول إلى تقاليد إلا 10%، والباقي يندثر في حينه، وأرجع ذلك إلى أسباب طبيعية واجتماعية. ثم قسم الأسباب الاجتماعية إلى نوعين هما: منطقية وغير منطقية. فالأسباب المنطقية تؤثر حينما يقرر الفرد أن التجديد هو الأكثر نفعًا أو أقرب إلى الحقيقة وأكثر توافقًا مع الأهداف التي اقتنع بها عن طريق التقليد غالبًا. مع مراعاة أن التدخلات غير المنطقية تؤثر في الاختيار. ثم يؤكد على أن الاختراع والتقليد يكوّنان الظاهرة الاجتماعية الأولية، ويرى أن القوة الكامنة وراء هذين العاملين هما: الفكرة أو الفعل، فهما أكثر ما يقلِّده الناس لاشتمالهما على قدر معين من العقيدة أو الرغبة. ومن هنا تنظّم المجتمعات حياتها. وينتج التقدم الاجتماعي بحسب تارد نتيجة عمليتين هما: الإبدال والتراكم، إذ إن هناك اكتشافات واختراعات لا يمكن إلا أن تكون بديلة لغيرها، وأخرى قابلة لأن يتراكم بعضها فوق بعض[1].

ومن أبرز قوانين منطق التقليد التي فككها تارد، منطق انتقال العادات من الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا، وهي في صميم موضوع هذا الكتاب، إذ يقول: «ويكفي أن نعرف في أي اتجاه يسير التيار الرئيس لنماذج التفكير والسلوك لكي نحدد مركز السلطة الحقيقية، ولا شيء

(1) البدوي، **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مرجع سابق، ص 470 ـ 471.

أسهل من هذا التحديد إذا كانت الدولة تقوم على نظام أرستقراطي، إذ نلاحظ دائمًا وفي كل مكان أن النبلاء يقلدون الملوك والحكام، وأن الشعب يقلد النبلاء بمجرد أن يصبح هذا التقليد في إمكانه، وقد حدث ذلك في فرنسا أيام لويس الرابع عشر (1638 ـ 1715م)، ووصف سان سيمون تلك الظاهرة بقوله: «إنها جرح لا يلبث حين يتغلغل في الجسم أن يصبح سرطانًا يسري بين الأفراد؛ وذلك لأنه ينتقل إليهم سريعًا من البلاط إلى باريس، ثم إلى الأقاليم، ثم إلى مجموعات الشعب»[1]. ويتوقف تارد عند هذه الملاحظة ليؤكد على تسلسلها من أعلى إلى أدنى، وأنها شاملة، وليست منحصرة على سلوك محدد:

«إن الدور الرئيس الذي كانت تلعبه طبقة النبلاء، وسمتهم المميزة هي أنهم كانوا يمثلون طابع المبادأة أو على الأقل تيار الاختراع، وقد ينبع الاختراع من بين صفوف الشعب، ولكنه لكي ينتشر يحتاج إلى قمة اجتماعية ينحدر منها، كما ينحدر الماء من المسقط ليفيض بعد ذاك في الأنهر والقنوات. وفي كل زمان ومكان كانت الطبقة الأرستقراطية هي الطبقة المنفتحة لتلقي كل جديد من الخارج، كما كان وضعها يؤهلها لاستيراده»[2].

ويربط تارد نظرية التقليد بأنها تنتقل من المركز إلى الأطراف، وتبدأ من العواصم لتنتقل إلى القرى.

«فهذه القمم من العباقرة التي تبرز من شوارع المدن الكبرى تحتل مكان الصدارة، وتصبح مراكز الإشعاع لتيارات الفكر،

---

(1) البدوي، **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مرجع سابق، ص 476.

(2) البدوي، مرجع سابق، ص 477.

ومن ثم تصبح المصادر الأساسية للتقليد، فالمدن الكبرى، وبخاصة العواصم، تقوم في النظم الديموقراطية بما كان يقوم به النبلاء في النظم الأرستقراطية، فباريس اليوم تتربع على عرش التوجيه الفكري، وتتحكم في تيار التقليد بدرجة لم تتحقق في عهد أي بلاط ملكي، إذ إنها تبعث في كل يوم، بل في كل لحظة بآرائها وأحاديثها وثوراتها الفكرية وأزيائها ونماذج أثاثها إلى جميع أنحاء فرنسا، بل إلى جهات متفرقة من العالم»[1].

ويضيف تارد لاستكمال نظريته أن تبني الأفكار الجديدة يسير بالنسبة للبعد الزمني بطريقة تشبه الحرف S، إذ يتبنى الفكرة عدد قليل من الناس، ثم تتسع الفكرة من خلال تبني عدد كبير من الناس لها، وفي النهاية يقل المعدل، كما يرى أنه كلما كان أصحاب الأفكار الجديدة منفتحين على العالم الخارجي، كانت سرعة تقبلهم أكثر من غيرهم[2].

تمثل دراسة تارد الرائدة إلهامًا لكثير من الدراسات بعدها؛ دراسات تحلل كيف تنشأ الفكرة الجديدة، وكيف تنتشر، ثم كيف يمكن للمؤسسات تفعيلها والاستفادة منها قبل اندثارها. ويوزعها إيفرت روجرز إلى أربعة عناصر رئيسة هي: «الفكرة المستحدثة، وانتقال الفكرة الجديدة من شخص إلى آخر، والتركيب الاجتماعي للبيئة، والفترة الزمنية الضرورية للانتقال»[3].

ويمكن التوقف قليلًا عند منطق انتقال العادات من الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا، ومن المدن الرئيسة إلى القرى والأرياف، وهو الجزء

(1) البدوي، **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مرجع سابق، ص 477.

(2) إيفرت روجرز، **الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر**، ترجمة سامي ناشد، القاهرة: دار عالم الكتب، ص 44 ـ 45.

(3) روجرز، **قوانين التقليد لجبريل تارد، مجلة تراث الإنسانية**، مرجع سابق، ص 24.

المتوافق مع نظرية اليعقوبي، ولكن تارد أضاف على اليعقوبي أنه نظَّم النظرية، وعززها بشرح تفاصيلها، كما سمى تارد البعد الإنساني المسؤول عن هذا التفاعل وهو البعد النفسي، ثم قسمه قسمين: قسم تقليد دون وعي، وقسم تقليد مع وعي. أما جوهر نظرية تارد الذي تنبَّه له اليعقوبي، فبقي كما هو عند تارد، وهي تؤكد على أن المجتمع التقليدي الذي أشرنا إلى سمات التجانس العالي وبطء التغير فيه، من السهل ملاحظة سلوك الناس وتفاعلاتهم في الحياة اليومية، وإمكانية التوصل إلى القوانين التي تحكمها، وأن المجتمعات التقليدية تتشابه في تكرار السلوك، سواء كانت عربية أم غير عربية، وإنما حصل التمايز الكبير واتسعت الفجوة وتعقَّدت الحياة واختلفت معايير القيم والأخلاق بسبب انتشار الصناعة والتقنية. وسيأتي تفصيل وصف عناصر نظرية اليعقوبي.

تمثل النظريات السابقة نماذج من التراث العربي وتراث علم الاجتماع الغربي عن انتقال الأفكار وانتشارها في المجتمع، وقد تنوعت مصادرها إلى أربعة، هي: الملوك والمجتمع والأطعمة والمناخ.

3 - النظرية المعاصرة في انتشار الموضة

يوجد نظريات موجهة لظواهر محددة، ومن أبرز نظريات الموضة ما ذكره عالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان أن مجلة أزياء شهيرة نشرت دراسة عام 2005م بعنوان: «ستة مظاهر أساسية تبقيك مواكبًا للموضة»[1]، التي صنفها ضمن الحياة العجولة، وتتمثل المظاهر الستة في النصائح الثلاث التالية:

1 ـ تكمن مواكبة الموضة في متابعة الشخصيات المرموقة التي يعتدُّ بها، فهم الذين يرسمون الخط بين النجاح والفشل من خلال

(1) زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، ترجمة سعد البازعي وبثينة الإبراهيم، أبوظبي: كلمة، 2016، ص 195.

تقبلهم للموضة أو رفضهم لها، والاستمرار على ذلك هو الذي يضمن الثقة بالنفس، واكتساب الاحترام، والتأكد من أنك على الطريق الصحيح، وتضمن لك الاندماج الاجتماعي، وتحميك من الشعور بالفشل، وتجنبك الإقصاء.

2 ـ إن وعود مواكبة الموضة سيكون مضمونًا لأشهر معدودة، ولا بد من متابعتها باستمرار.

3 ـ يوجد ستة مظاهر للموضة، وليس مظهرًا واحدًا، ومن ثم فإن الفرد حر في أن يختار من بين هذه المظاهر الستة لكل موضة. وهذا يعفيه من ضغط الوقت للاختيار، ويريحه نفسيًا بأن الخبراء اكتشفوا كل ما يمكن كشفه في مجال الموضة.

تمثل هذه النظرية الاتجاه الجديد لانتشار الموضة في المجتمع، والمختلف كليًا لنظرية انتشار الأفكار، وأنها تحولت من إنتاج معرفي اجتماعي بحت، مبني على أخلاقيات وأسس قيمية، نابعة من عادات المجتمع، إلى صناعة استهلاكية فرضتها طبيعة الحياة الرأسمالية، من خلال عزل الفرد عن الانصهار في المجتمع، ومن ثم فظاهرة انتقال الموضة في مجتمع الحداثة أصليًا وليس ثانويًا أو تبعيًا. إذ يرى باومان أن هذه النصائح تعني أن على المرء في الحاضر كما كان المرء في الماضي، ألا يفوّت الفرصة في اتخاذ إجراء ما لئلا يجد نفسه متخلفًا بدلًا من أن يكون مواكبًا للموضة، كما عليه أن يدرك أن الإجراء الذي نجح في الماضي لن يجدي نفعًا في الحاضر، وهذا يعني أن الحياة الاستهلاكية هي حياة من التعلم والنسيان السريعين[1]. وينقل عن عالمة الاجتماع البولندية إليزابيث تاركوستا مفهوم «الإنسان التزامني» الذي يعيش في

(1) باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص 197

الحاضر فقط، ولا يلقي بالًا لتجارب الماضي ولا النتائج المستقبلية لها، وهي استراتيجية يترجمها غياب التواصل مع الآخرين، حيث إن ثقافة الحاضر تعلي من شأن السرعة والفاعلية، مقللة في الوقت نفسه من شأن الصبر والمثابرة[1].

من هنا يمكن القول بأن مشاكلة الناس لزمانهم اليوم ما تزال ظاهرة مستمرة، ولكن المجتمع يعيد إنتاجها بحسب الإمكانات المتاحة في كل عصر، وقد اتخذت اليوم شكلًا جديدًا مختلفًا عن زمان الأمس، وصار طابع المشاكلة يتغير بصفة دورية وسريعة متضمنة توفير بدائل للمشاكلة في الموضة والعادات، ولكنها بدائل خاضعة لسيطرة الشركات القائدة والموجهة لسلوك الأفراد.

(1) باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص 213

التعريف بالمؤلف

اليعقوبي

على الرغم من شهرة اليعقوبي بين المؤرخين إلا أن سيرة حياته شبه مجهولة، ولا يرد له في كتب التراجم والسير ما يمكن أن يفي بحقه العلمي ومكانته الاجتماعية، فقد ورد اسمه، كما يرد في المصادر، أحمد ابن إسحاق اليعقوبي، وورد اسمه في مقدمة النسختين المخطوطتين من «مشاكلة الناس لزمانهم»: أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، ويلحظ أن النسختين لم تذكرا اسم والده إسحاق، وإنما اكتفت بكنيته «أبي يعقوب»؛ وعلى الرغم من ندرة المصادر التي ترجمت له وشح معلوماتها عنه، إلا أنها تشير إليه مرة بالاسم ومرة بالكنية ومرة بالمهنة، فذكره ياقوت الحموي باسم أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الإخباري العباسي، ثم نقل عن تاريخ الكندي أنه من موالي بني هاشم[1]. ويتضح من حيازته على لقب «الإخباري» الاعتراف بمكانته في التاريخ والبلدان، وشهرة كتابيه: «البلدان» و«تاريخ اليعقوبي» في هذين المجالين.

ترجم له بروكلمان، وركز على جانب التشيع في شخصيته، إذ لفت انتباهه تشيعه على الرغم من أنه عباسي، وله علاقات رفيعة بينهم. وهي ملاحظة شكلية، إذ لا يوجد تعارض بينهما، إلا أنها قد تدل على عدم

(1) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م، ج2 ص 557.

اهتمام اليعقوبي بالمذاهب، وليس لتشيعه تأثير على حياته، لذلك كان مقربًا من بني العباس وتولى مناصب عالية عندهم، مثل ولاية أرمينية، وأذربيجان، ثم ولاية مصر[1].

اختلف في وفاة اليعقوبي، وقد رجح الزركلي أن وفاته بعد عام 292هـ/ بعد 905م[2]، وهو التاريخ الأرجح في رأيي.

يصنف اليعقوبي من مؤرخي الدولة العباسية المتهمين بتشويه التاريخ الأموي من خلال تاريخه المعروف[3]، ويبدو أن هذه التهمة تحصيل حاصل، فغالبية مؤرخي الدولة العباسية سجلوا موقفًا عدائيًا للتاريخ الأموي، سواء كان ذلك بإيمان علمي منهم، أم إرضاء لبني العباس، وتوصلت دراسة عن العصر الأموي في تاريخ اليعقوبي إلى أن اليعقوبي «انتقى مصادر معادية للأمويين، موالية لأعدائهم من عباسيين وهاشميين، وانتقى أقصى ما فيها من توجه ضدهم...»[4]، وفي رأيي أن هذه الدراسة تحتاج إلى مراجعة منهجية، وخصوصًا أنها أجريت على العصر الأموي دون مقارنته مع العصر العباسي أو عصر الخلافة الراشدة حتى يتضح بالمقارنة أي تغير في أسلوب اليعقوبي.

يلحظ أن اليعقوبي في هذا الكتاب حاول، بقصد أو دون قصد منه، رسم صورة ذهنية تصف حياة البذخ والاستهلاك المظهري لخلفاء بني أمية، إلا أنها أقل حدة مما ذكره في تاريخه، وإذا استبعدنا فكرة التحيز التاريخي عند اليعقوبي، فيمكن الحكم بأنه عالم موسوعي واسع الاطِّلاع،

---

(1) كارل بروكلمان، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، ط 5، ج4 ص 236.

(2) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ط 7، 1986م. ج1 ص 95.

(3) حمدي شاهين، **الدولة الأموية المفترى عليها**، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 2001م، ص 58.

(4) شيخة أحمد الخليفي، اليعقوبي والعصر الأموي في كتابه تاريخ اليعقوبي، **مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية**، قطر ع 13 عام 2001م، ص 240.

وقد أظهر كثيرًا من آرائه وملاحظاته ومعلوماته التي اطَّلع عليها أو أنتجها في كتابيه الشهيرين «البلدان» و«تاريخ اليعقوبي».

مؤلفاته

ترك اليعقوبي كتبًا قليلة، بعضها مفقود، وما وجد منها طبع، ويغلب على كتبه أنها مختصرات، وتعطي ملامح عن الظاهرة أو الحادثة دون تفاصيل، ومن أشهر كتبه ما يلي:

1 - «كتاب البلدان»، وهو أهم كتبه وأشهرها، وهو يصنف من أقدم المصادر الجغرافية العربية، وتضمن معلومات تاريخية مهمة، ويشير بعض الباحثين إلى أنه لم يصل إلينا كاملًا، إذ ضاع منه الجزء المتعلق بالبصرة والحجاز والهند والصين وخوزستان وفارس[1]، طبع عام 1861م بتحقيق المستشرق ينبول، ثم طبع عام 1892م بتحقيق المستشرق دي خويه، وطبع تحقيق دي خويه ثانية عام 1938م، وطبع عام 1980م بتحقيق مضيوف الفرا.

2 ـ كتاب التاريخ المعروف بعنوان: «تاريخ اليعقوبي»، في مجلدين، انتهى فيه عند خلافة المعتمد بالله العباسي سنة 259هـ. وامتاز الكتاب باهتمامه بالإشارة إلى الطوالع والتنجيم في كل بداية حكم خليفة[2]، طبع عام 1883م في ليدن بهولندا بتحقيق المستشرق هوتسما، ثم أعيد طبعه في بيروت عامي 1960 و1970م. ويلحظ أن اليعقوبي عاش بعد الانتهاء من كتابه أكثر من ثلاثين سنة، ولم

---

(1) مظهر الجغيمي وعبدالجبار الدليمي، الجوانب العمرانية والعسكرية والإدارية من خلال كتاب **البلدان لليعقوبي**، ضمن مجلة: **جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية**، العراق، ع 2 حزيران 2012م، ص 291.

(2) فرانز روزنثال. **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 3، 1403هـ، ص 156.

يؤرخها، مما يجعل التساؤل مفتوحًا عن مدى وجود تتمة للكتاب المطبوع.

3 ـ «مشاكلة الناس لزمانهم» وهو هذا الكتاب، وسيأتي تفاصيل عن مضمونه وطبعاته.

4 ـ كتاب أخبار الأمم السالفة، وهو كتاب صغير، أشار إليه ياقوت الحموي[1].

(1) ياقوت، **معجم الأدباء** مرجع سابق، ج 2 ص 557.

دراسة الكتاب

نسبة الكتاب إلى المؤلف

تحققت نسبة الكتاب إلى اليعقوبي بإثباتات تاريخية رصينة، من أهمها نسبته إليه على الصفحة الأولى من المخطوط في النسختين الخطيتين. ففي بداية نسخة مراد ملا، وبداية نسخة فاتح يقول الناسخ: «كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر. قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح».

كما أشار عدد من المؤلفين القدامى إلى الكتاب منسوبًا إلى اليعقوبي، منهم ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»[1]، ونقل منه ابن العديم في «منتهى الطلب في أخبار حلب»[2] خبر الحواري بن حطان، ومن ثم فلا يوجد أي شك أو لبس في نسبة الكتاب إلى اليعقوبي، ولم ينازعه عليه أحد، وبذلك يكون كتاب مشاكلة الناس لزمانهم هو لليعقوبي صاحب التاريخ الشهير وكتاب البلدان.

موضوع كتاب مشاكلة الناس لزمانهم

لم يتنبه أكثر من أشار للكتاب إلى أهميته التاريخية والاجتماعية، ووصفوه بأوصاف لا تدل على ارتباطه بفكرة أو ملاحظة عميقة، إذ وصفه

(1) ياقوت، **معجم الأدباء**، مرجع سابق، ج 2 ص 557.

(2) ابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ص 2987.

وليم ملورد بأنه يهتم بمبدأ التقليد، الذي كان من أهم العوامل في تكوين الحضارة الإسلامية ونموها، ثم صنفه من كتب الأوائل، واتفق مع ملورد في مبدأ التقليد، ولكنه ضيَّع الفكرة الأساسية عندما نحا بها منحى تقليديًا، وبالغ في وصف الحضارة الإسلامية بأنها قائمة على التقليد، وأرى أنه تعسَّف في رأيه، كما أنه أخطأ في تصنيف الكتاب بأنه من كتب الأوائل، ففكرة الكتاب تبحث في الأفكار وكيف تنتشر، وفي مصادر إنتاج المعرفة اليومية لدى الإنسان العادي، وتابعه على هذا التصنيف مضيوف الفرا، وهذه الملاحظة لا تمثل فكرة الكتاب الرئيسة، حتى إنه تضمن معلومات عن أوائل الخلفاء؛ لأن جوهر تصنيف الكتاب هو رصد ظاهرة المشاكلة والمحاكاة وتقليد الشعب لسمات خلفائهم الخلقية واتجاهاتهم الفكرية.

أما المستشرق روزنتال فيقول: «فعندما كتب اليعقوبي في القرن العاشر [الميلادي] كتابًا عنوانه: «مشاكلة الناس لزمانهم»، فإن المرء يستنتج منه أن فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة عن التطور، غير أنها ظلت سطحية، ولم تنفذ إلى أعماق الفكرة الحديثة»[1]. ولم يذكر روزنتال أي تطور يقصده، ويبدو تكلُّفه في وصف كتاب لم يطَّلع عليه، ويبدي فيه حكمًا متعجلًا. بينما يصفه يسري عبد الغني عبد الله بأنه: «رسالة صغيرة يمكن لنا أن نطلق عليها خواطر ذاتية وتعليقات طريفة عن الناس والزمان»[2]، وهذا أيضًا وصف تخميني وتسطيح لفكرة عميقة.

بهذا يتضح أن نظرية اليعقوبي الاجتماعية عن انتشار الأفكار في المجتمع وصناعة التأثير على المزاج العام، ظلت كامنة لم يكشف عنها حتى الآن، إضافة إلى إشارات المؤرخين له. والذي أراه أن الكتاب يعد

(1) روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، مرجع سابق، ص 27.

(2) يسري عبد الغني عبد الله، **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/ 1991، ص 19.

من تراث تاريخ الفكر الاجتماعي، وهو من أوائل المؤلفات العربية في العلوم التي تعنى بأفكار الإنسان العادي في حياته اليومية، مثل: علم اجتماع المعرفة، وعلم نفس الشعوب، لاهتمامه بدراسة طبائع السلوك الشعبي، وهو كتاب يتبع المنهج الوصفي الذي يصف الواقع، ولا يخبرنا عما ينبغي اتباعه من سلوك، كما هو الحال في مؤلفات آداب الملوك، وهو بهذا يقع في سياق التراث الاجتماعي الموجود في «مقدمة» ابن خلدون، و«بدائع السلك في طبائع الملك» لأبي عبد الله محمد بن علي ابن الأزرق الأندلسي، المتوفى سنة 899هـ، ويلحظ أن اليعقوبي لاحظ الظاهرة، ولم يحاول أن يشرح أسبابها، إلا أنه استطاع بنظره الثاقب أن يتتبع تأصيلها، والاهتمامات المنغرسة في الحياة اليومية.

يكشف الكتاب أن روح العصر في المجتمع الإسلامي كان يحمل معه خصائص المجتمع التقليدي المتجانس؛ لذلك ظلت الشعوب متعلقة بالحاكم وبمحاكاته، ويتأكد هذا الرأي مع استمرار الظاهرة في الدولة العباسية على الرغم من توسع الفتوحات، ونشاط حركة الترجمة في الفلسفة والعلوم، والانفتاح على الحضارات واطِّلاعهم على نماذج حضارية مختلفة مثل فارس والروم واليونان والهند.

يبدو أن اليعقوبي يقيس المشاكلة والمحاكاة على الطبقة الوسطى، إذ إن انتشار الأفكار عنده، كما سيأتي، يبدأ من النخب، وهم الخلفاء وأعوانهم، حتى تستقر الفكرة بين أفراد الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا؛ لذلك لا نجد أي إشارة إلى الثقافات الفرعية والطبقات الفقيرة، خصوصًا أن كثيرًا من الأفكار التي تمثل هوايات الناس واهتماماتهم تعد من هوايات النخب مثل العمارة، والصيد والطرديات. إذ بدأ اليعقوبي بصياغة ملاحظته الاجتماعية على شكل فرضية علمية هي:

«**فأما ملوك الإسلام، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله، ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله**». وحاول التحقق منها من خلال تتبع تاريخي شمل (31) خليفة، وهم يمثلون مجتمع دراسته. وقد توصل إلى أربعة متغيرات مهمة وأساسية في تأسيس نظريته، هي: أن المعرفة المقلّدة تنتقل من أعلى الهرم الاجتماعي إلى أسفله. والثانية: أنها تمر بمرحلة وسطى سماها الولاة، وهم أمراء المناطق، ولكنه قد يشمل ضمنيًا الوزراء والقادة، وعلى الرغم من أنه لم يؤكد على هذا في المقدمة، إلا أنه التزم بالانتباه له في النص. والثالثة: أن التقليد يبدأ من عواصم الخلافة والمدن الكبرى، ثم ينتشر في الأطراف، والرابعة: أن الناس تقلِّد سمات الخليفة واهتماماته الشخصية، وليس سياساته.

ويمكن التساؤل عن مدى توسيع نظرية اليعقوبي لتشمل كل المجالات تقريبًا، ففي العصر الحديث، وتعقُّد الحياة اليومية، والازدياد الكبير في السكان، تطلب الوضع أن تسير الدول وفق أنظمة شاملة، ويمكن ملاحظة أن الدول التي تضع أنظمة دقيقة وتطبقها على مستويات عليا من الإدارة، نجد أن ذلك ينعكس على القيادات المتوسطة، وعلى أكثر الناس في المجتمع، في حين نلحظ أن الدول التي لديها أنظمة هشة وقديمة، ولا تلتزم بها القيادات العليا، نلحظ أن القيادات الوسطى تقلدهم، ولا تلتزم بالنظام، ثم يتسلسل عدم الالتزام نزولًا ليشمل أكثر أفراد المجتمع.

جدول الخلفاء مع سماتهم التي شاكلهم الناس عليها

العصر	الخليفة	السمات الأساسية	السمات الثانوية	من قلَّده
الخلفاء الراشدون	أبو بكر الصديق	الزهد	التواضع	أشراف العرب وملوك اليمن
	عمر بن الخطاب	الشدَّة في ذات الله تعالى	التواضع وخشونة الملبس والمطعم	عماله وأمراء الأمصار والأجناد وسائر من يحضره أو يغيب عنه
	عثمان بن عفان	السماحة	الجود وصلة الأرحام ورفع القرابة واتخاذ المال	الصحابة
	علي بن أبي طالب	الخُطب	انشغاله بالحروب والزهد	عامة المجتمع
الخلفاء الأمويون	معاوية بن أبي سفيان	الـمُلك	بناء القصور، واتخاذ الحرس والشُّرط والحُجَّاب واللبس الفاخر...	عماله ومستشاروه
	يزيد بن معاوية	الصيد واللهو	الغناء والشراب	أصحابه
	عبد الملك ابن مروان	الأدب، والصرامة والحزم	البخل، والشعر	عماله

	الوليد بن عبد الملك	الظلم	العمارة، بناء المساجد	عماله
	سليمان بن عبد الملك	اللباس الفاخر	————	عماله وأصحابه وخدمه
	عمر بن عبد العزيز	الزهد	التواضع والتقرب لأهل الفضل	عماله
	يزيد بن عبد الملك	الجور	غلبت على أمره امرأة، ويسرع إلى الدماء والأموال	عماله
	هشام بن عبد الملك	البخل	العمارة	الناس
	الوليد بن يزيد	الرفاهية والطرب	الشراب والغناء والمجون	الناس
	يزيد بن الوليد	الاعتزال	————	لم تطل مدة خلافته، فلم يعرف عنه سمات
	مروان بن محمد	العصبية القبلية	إطالة الرسائل في المكاتبات	الناس
الخلفاء العباسيون	أبو العباس	سفك الدماء	سمح، كريم	————
	أبو جعفر المنصور	ترجمة الكتب العلمية	عيَّن مواليه وغلمانه وقدمهم على العرب	قلّده الولاة في السمات الثانوية

	المهدي	الرخاء الاقتصادي	شيوع الإلحاد والزندقة في عهده	عامة المجتمع
	الهادي	جبار	————	عماله
	هارون الرشيد	الحج والغزو	اتخذ القيان	قلّده عامة المجتمع على السمة الثانوية
	الأمين	قدم الخدم	اتخذ الغلاميات	قلّده عامة المجتمع على السمة الثانوية
	المأمون	العفو عن الجناة، والكرم		أصحابه ووزراؤه وكتّابه وقواده
	المعتصم	التشبه بالعجم	الفروسية	ضيق الناس أكمام ثيابهم تقليدًا له
	الواثق	نشر الاعتزال	————	
	المتوكل	نشر السنة، لبس الثياب الملحم	سمح بالمضاحيك بمجلسه	شاع الهزل والمضاحيك بين الناس
	المنتصر	البخل والجهل	————	مدة حكمه قليلة

	المستعين	وسع أكمام الثياب	ـــــــــ	لا يعرف له طبع قلّده الناس عليه
	المعتز	ركب بحلية الذهب	ـــــــــ	قلّده الناس
	المهتدي	الزهد	ـــــــــ	ـــــــــ
	المعتمد	اللهو		مدة حكمه قصيرة
	المعتضد	الحزم والشهامة	ـــــــــ	ـــــــــ

يبدو من جدول السمات الأساسية لكل خليفة وجود اتجاه عام يوضح أن عادات النخب السياسية وتفضيلاتهم القيمية قد شكلت ثقافة النخبة التي تتطلع إليها الطبقة الوسطى، فكانت قوة رمزية للتأثير على روح المجتمع، وعلى الرغم من بعض التحفظ على دقة ملاحظة اليعقوبي في اهتمامات عدد من الخلفاء التي صارت من عادات شعوبهم، كما سيأتي، إلا أن أسلوب ضبطه المنهجي كان موفقًا إلى حدٍّ كبير. ويلحظ في خانة من قلَّد الخلفاء، نجد أن اليعقوبي لم يشدد على ضبط هذه الجزئية، ولكنه أفادنا بأن حكومة الخلفاء، وهم الولاة، والوزراء، والكتَّاب، والقادة، هم من يبادر بتقليد الخليفة، وهذا يعطينا مؤشرًا بأن الحكومة يختارها الخليفة بشكل مباشر منه، وأنه يختار منهم من يثق في تطابق اتجاهاته العامة مع اتجاهات الخليفة. وأحيانًا يتجاهل اليعقوبي الوسطاء في نقل هوايات الخلفاء، ويشير إلى انتشارها في المجتمع مباشرة.

ويلحظ من هذه القائمة أن كثيرًا من الخلفاء الأمويين معنيون بالاستهلاك

الثقافي المتمثل في الرياضات الراقية والفن، بينما اهتم الخلفاء العباسيون بالاستهلاك المظهري المتمثل في لبس الحلي والملابس الفاخرة، ما عدا الخليفتين أبي جعفر المنصور والمأمون اللذين اهتما بالعلم والترجمة. ويلحظ أن اليعقوبي رسم صورة ذهنية لبعض الخلفاء مغايرة للصورة الذهنية التي اشتهروا بها، كما فعل مع الوليد بن عبد الملك، كما سيأتي في التحقيق.

تدعم الشواهد التاريخية دقة افتراض أن المجتمع التقليدي له سمات متجانسة، منها اتباع رؤسائها وتقليدهم، ومن ثم فإنه من المنطقي أن يتمركز الجماهير حول اهتمامات الخلفاء، بوصفهم رموز المجتمع وصنَّاع اهتماماته. ويدعم هذا الافتراض مقولة أن مفهوم السلطان المستخدم في العصر الإسلامي المبكر له مفهوم واسع، إذ لاحظ روزنتال في تحليله لمفهوم السلطان في كتابات أبي حامد الغزالي أن له أكثر من معنى، كان أحدها أنه يعني Authority التي تعني السلطة الفكرية والروحية والدينية على الإنسان، واستعملها مرة بمعنى power التي تعني القوة السياسية والنفوذ السلطوي الحكومي[1].

يلحظ أيضًا أن اليعقوبي قد أهمل ثلاثة من خلفاء بني أمية، وهم: معاوية الثاني، تولى بعد يزيد بن معاوية، ومدة حكمه أربعون يومًا، ومروان ابن الحكم، تولى بعد معاوية الثاني، ومدة حكمه سنة واحدة، وإبراهيم ابن الوليد بن عبد الملك (المتوفى سنة 127هـ)، تولى بعد يزيد بن الوليد، ومدة حكمه شهران. ويبدو أن قصر مدة حكمهم، وعدم شهرتهم، وبالتالي قلة إنجازاتهم، هي سبب تجاهلهم، ولكنه لا يعذر في تجاهل مروان بن

(1) حسن مجيد العبيدي، الفكر السياسي للغزالي من خلال قراءة المستشرق إرفن روزنتال، ضمن **كتاب أبو حامد الغزالي وأثره على الفكر الإنساني** لمجموعة باحثين، بغداد: بيت الحكمة، ط 1، 2011 ص 92.

الحكم (64 ـ 65هـ/ 684 ـ 685م)، لشهرته، كما أن مدة حكمه مقاربة لكثير من الخلفاء الذين أشار إليهم.

وتوقف اليعقوبي عند الخليفة المعتضد، وجاء بعده الخلفاء: المكتفي، والمقتدر، والقاهر، والراضي، والمتقي، والمستكفي.

منهجية اليعقوبي

لم يعلن اليعقوبي صراحة عن منهجه الذي استخدمه، كعادة كثير من مؤرخي القرن الثالث الهجري، ولكن يظهر بوضوح أنه اتبع المنهج التاريخي المعروف. واستخدم أداتين من أدوات المنهجية، وهما: الأولى هي الملاحظة، التي تظهر بوضوح في تنبهه لظاهرة مشاكلة الناس لزمانهم، وقدرته على تتبعها تاريخيًا، وملاحظته للمتغيرات الأربعة التي تنتشر من خلالها الفكرة، كما تقدم. والأداة الثانية هي المقياس، وهي من أهم الأدوات المنهجية عند اليعقوبي التي يقيس بها الطبقة الاجتماعية والاقتصادية باستخدام عدد من المؤشرات التي يمكن لها أن تقيس مستوى الخلفاء وولاتهم وقادتهم، المتمثلة فيما تركوه من: العقارات، والملابس، والأدوات المنزلية. لذلك ملأ كتابه بكمية كبيرة بمصطلحات العمارة والعقارات وأدوات البناء والزخرفة، والملابس، وأدوات المنزل من أوانٍ وفُرُش. وسوف أضرب مثالين لتوضيح فكرة المقياس عنده.

الأول أنه قاس الطبقة الاجتماعية والاقتصادية العليا بالثراء من خلال امتلاك العقارات، وزخرفة القصور، واللباس الفاخر، والمال النقدي، كما هو الحال في تعداده لأملاك كثير من الصحابة في زمن عثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهم ـ، والثاني أنه قاس عيش الكفاف للطبقة العليا اجتماعيًا ولكنها منخفضة اقتصاديًا، وهي من الحالات التاريخية النادرة، وقد حصلت في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، إذ كان ولاته وقادته وكبار رجالات الدولة يركبون الحمير، وفي منازلهم قدور

وأوانٍ منزلية شحيحة، وقد مثلت المقياس الذي قاس به اليعقوبي مستوى المعيشة.

النسخ المعتمدة في التحقيق

1 ـ نسخة محفوظة بمكتبة مراد ملا باسطنبول برقم 1410/ 23 ضمن مجموع، وتقع في الورقات 79 أ/ 86 أ، ومنها نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ف 922. وقد طلبت المجموع بهذا الرقم ووصلني مخطوط آخر فيه مجموع ليس من ضمنه كتاب «مشاكلة الناس لزمانهم»، فأعدت البحث مجددًا عن المخطوط، وعثرت على النسخة ذاتها في مكتبة مراد ملا ضمن مجموع، ولكن برقم 1433، وهي نسخة تامة، مزخرفة الغلاف، وتقع في ثلاث وعشرين صفحة، مرقمة بخط حديث على اثنتي عشرة ورقة، في كل ورقة صفحتان. وطول الصفحة فيها 24,85×31,96 إنشًا، واعتمدتها في التحقيق أصلًا، وسميتها نسخة (الأصل).

2 ـ عثرت على نسخة خطية ثانية لم يطلع عليها من حققوا الكتاب من قبل، هي: نسخة فاتح باسطنبول، ضمن مجموع برقم 5437، وتقع في اثنتي عشرة، صفحة، وهي مرقمة بقلم حديث للورقات، فجاءت في ست ورقات تبدأ من ورقة 74 وتنتهي عند ورقة 79، أي: كل ورقة تضم صفحتين، وطول الصفحة الواحدة 22.10×14,60 إنشًا، واتضح أثناء مقارنتها بالنسخة الأخرى أنها أربع صفحات فقط في ورقتين هما: 74، 75، وما بعدهما كتاب آخر لم أتبين اسمه، ولكن لا صلة له بهذا الكتاب، وهذا يعني أنها نسخة بها سقط، ولكنها تتضمن نصف النص المخطوط، واعتمدتها في التحقيق نسخة ثانية، وسميتها نسخة (الفاتح).

استعنت بكتاب تاريخ اليعقوبي للتأكد من بعض النصوص غير

الواضحة، ويبدو أن كتاب «مشاكلة الناس لزمانهم» جُمع كثير من مادته من «كتاب التاريخ»، وفي حالات قليلة أقارن قراءتي لمخطوط «مشاكلة الناس لزمانهم» بقراءة ثلاث نسخ مطبوعة.

دواعي صدور تحقيق جديد

شاع بين الباحثين أن لهذا الكتاب نسخة خطية وحيدة، وقد عثر عليها أولًا المستشرق البريطاني وليم ملورد، ونشرها قبل ستين سنة تقريبًا، وتابعه على نشر هذه النسخة كل من: الباحث محمد كمال الدين عز الدين، ونشرها قبل أربعين سنة تقريبًا، والباحث مضيوف الفرا، ونشرها قبل خمس وعشرين سنة، وبهذا يكون هذا الكتاب المحقق قديمًا ثلاث مرات قد اعتمد على نسخة خطية واحدة. في حين اعتمدت في هذا التحقيق على نسختين خطيتين، كما سبق وصفهما، كما أن الطبعات الثلاث تعد قديمة النشر، وقد تعرض النص فيها لقراءات خاطئة، وسقط كلمات بسبب الطباعة. إضافة إلى أن التحقيقات الثلاث السابقة قد أخلت بأهم منهجية دراسة المخطوط وتحقيقه، المتمثلة في عدم فهم موضوعه الدقيق، وتصنيفه تصنيفًا لا يمت لمضمونه بصلة، كما سبق إيضاح ذلك. ويبدو أن ذلك بسبب عدم فحصه، ودراسة موضوعه، مما تسبب في الإسهام بإهمال أهميته الاجتماعية والفكرية. وذلك كما يلي:

1 ـ تحقيق المستشرق وليم ملورد، طبعت في دار الكتاب الجديد ببيروت عام 1962م، وهي النشرة الأولى للكتاب، بحسب علمي، وقد اكتفى بنشر النص كما هو في المخطوط، دون تعليق على نصوصه ولا دراسة له، واكتفى بإضافة مقدمة موجزة، وقد تسبب عدم دراسته والتعليق على نصوصه في تشتيت انتباه من بعده بتغيير موضوع الكتاب وتصنيفه من كتب الأوائل، كما وقع في قراءات خاطئة لعدد من الكلمات، مما أخلَّ بسياق الكتاب الفكري

وتصنيفه بين العلوم، وقد تابعه بعض من حقق المخطوط بعده على تكرار أخطاء قراءة المخطوط، وقد نبَّهت إلى نماذج منها في أثناء التحقيق.

2 ـ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، نشرت بمجلة معهد المخطوطات بمصر، المجلد 26 العدد الأول، أيار/ مايو سنة 1980م، ص 121 ـ 165. وتميزت نسخة كمال الدين بدقة قراءة النص، وخدمته بالتعريف بكثير من المصطلحات والأعلام، وقلة الأخطاء، ولكن للأسف سقط بعض الأسطر والكلمات من نص المخطوط بسبب الطباعة، فيما يبدو، مما أفسد جمال التحقيق، وقد أشرت إليها في موقعها من التحقيق.

3 ـ تحقيق مضيوف الفرا، نشرت في مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، السنة الخامسة، العدد الخامس، 1414هـ/ 1993، ص 182 ـ 225، وأضاف عليها خدمة النص بتعريف كثير من المصطلحات والأعلام، ولكن لاحظت أثناء مطابقة النسخ المطبوعة مع المخطوط اعتماد الفرا على قراءة ملورد كثيرًا، وليس على المخطوط مباشرة، ومن ثم يتابعه على القراءات الخاطئة، ونبهت إلى نماذج قليلة لئلا أثقل الهامش بالفروقات.

4 ـ تضمن المخطوط عشرات المصطلحات، وأهمها: كثافة مصطلحات العمارة، والأزياء، وذلك لمعاصرة المؤلف أهم نهضة معمارية وحضارية عرفها التاريخ العباسي الأول. ولم يتنبه المحققون السابقون لهذه الملاحظة المهمة.

5 ـ حرصت في التحقيق على ربط ملاحظة اليعقوبي الاجتماعية بنظريات ومفاهيم علم اجتماع المعرفة، بوصفها تمثل منتجًا معرفيًا متخفيًا في ممارسات الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي،

والتأكد من الصورة الذهنية الشعبية والتاريخية للخلفاء، فقد وقع اليعقوبي في بعض الأخطاء التطبيقية، مثل تصوير الخليفة الوليد بن عبد الملك بأنه ظالم، في حين أن صورته الذهنية شعبيًا وتاريخيًا أنه مهتم بالعمارة، وأنه دعمها حتى صارت من اهتمامات عامة الناس. وناقشت غير هذه الملاحظة في مواقعها. وبذلك يكون التحقيق تكاملي إضافة لخدمة نص المخطوط المحقق.

6 ـ حاولت هذه الدراسة تتبع فكرة انتشار الأفكار والعادات الشعبية، والتعرف على مصادرها قديمًا، مع ربطها بالتغير الذي طرأ عليها في الواقع الآن، والمصادر الفكرية الحديثة لإحداث عادات جديدة في المجتمع من خلال عزل الفرد عن هيمنة العادات الاجتماعية والتقليل من شأنها.

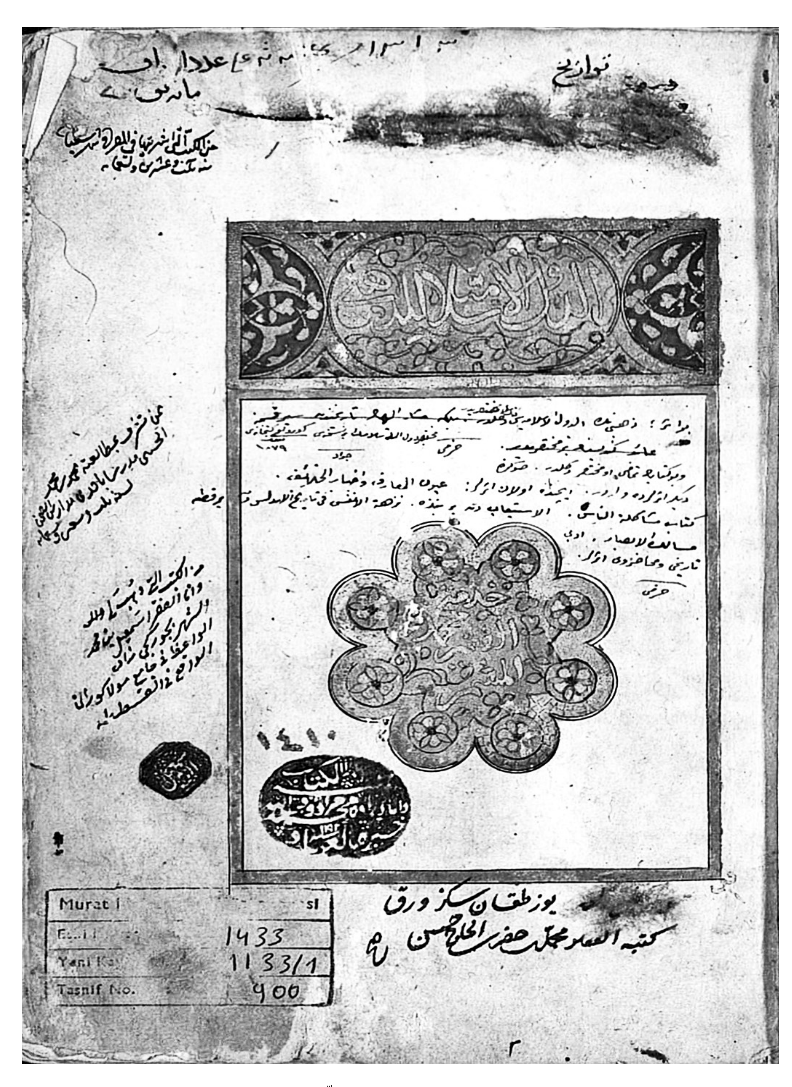
من هنا يتضح أن مخطوط «مشاكلة الناس لزمانهم» لم يخدم علميًا، ولا منهجيًا، وأن التحقيقات الثلاث السابقة لم تخرج النص كما أراده مؤلفه، وهي أهم صفة منهجية لأي تحقيق مخطوط، ولذلك أسهمت في تهميش فكرة الكتاب، وتذويب نظريته المهمة بخطأ تصنيف موضوعه. ومن هنا بدت الحاجة ملحة لإعادة تحقيقه، مع دراسة نظريته دراسة تفصيلية، لتأكيد فكرته، ولإعطائه حقه الذي يليق بمكانته في المكتبة التراثية.

منهج التحقيق

تركز جلّ اهتمامي في التحقيق على الجوانب الفنية، مثل التحقق من ضبط النص إلى أقرب ما يكون للنص الأصلي الذي أراده مؤلفه، من خلال المقارنة بين النسختين المخطوطتين، وقد أجري مقارنة مع النسخ المطبوعة، وإيضاح أبرز الفروقات، واختيار ما يتسق مع الموضوع، مع تبيين سبب الترجيح، وفق المعمول به في منهج تحقيق المخطوطات.

ويلحظ أن الكتاب على الرغم من صغر حجمه، إلا أنه مملوء بمصطلحات العمارة والأزياء والأواني المنزلية، إضافة إلى الكلمات الغامضة، والأعلام، والأخبار، وهي كثيرة جدًا، وقد حرصت على التعريف بها جميعًا، مع محاولة تقديم الحد الأدنى من التعريف غير المخل موثقًا بمصدره. أما تراجم الأعلام فقد حاولت التعريف بها من مصادرها الأصلية المتقدمة. كما لن أثقل الهوامش بكثرة تخريج الأخبار ومقارنات اختلاف المصادر؛ لأن اليعقوبي يعد مصدرًا أصيلًا، ومتقدمًا، إذ عاش في القرن الثالث الهجري، وهو عصر التدوين والانتقال من العصر الشفاهي والرواية الشفوية، إلى عصر التأليف وتوثيق الأخبار. واتبعت الإجراءات العلمية في توثيق النص والتعريف بأبرز الأعلام، والمصطلحات الحضارية، مع التعليق القليل على بعض الموضوعات الاجتماعية والسياسية.


غلاف المخطوط



غلاف نسخة مراد ملّا

٧٩

مشاكلة الناس لزمانهم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله:
فأما الخلفاء وملوك المسلمين في الإسلام فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون
سبيله ويذهبون مذاهبه ويعملون على قدر ما يرون منه ولا يخرجون عن أخلاقه
وأفعاله وأقواله. فكان أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس
وأشدهم تواضعًا وتقللًا في لباسه، وكان يلبس وهو خليفة الشملة والعباءة
وتقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان والبرود والوشي
والحبر، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم وذهبوا مذهبه
واقتفوا أثره. وكان ذو الكلاع ملك حمير ممن قدم على أبي بكر في عشيرته
وقومه وعليه التاج، وكان له عشرة آلاف عبد خولا في مخاليفه، فلما رأى
لباس أبي بكر قال: ما ينبغي لنا أن نكون بخلاف ما عليه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فنزع لباسه الأول وتشبه بأبي بكر حتى إنه رئي في سوق المدينة يحمل
جلد شاة على قفاه، فقالت له عشيرته وقومه: فضحتنا، أنت سيدنا تحمل شاة
بين المهاجرين والأنصار؟ قال: فأردتم مني أن أكون جبارًا في الجاهلية جبارًا
في الإسلام. وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ويحيا بتحية
الملوك، فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة
تواضع بعد التكبر وتذلل بعد التجبر حتى كان يشد عليه شملة خلقة، ثم
... التعيير بسببه تشبهًا بأبي بكر واطراحًا للأخلاق التي كان عليها في الجاهلية.
وكان أبو بكر رحمه الله لا يحمل أحدًا من الأشراف على الجفاء والخشونة، بلغه عن أبي
سفيان بن حرب أمرًا يكره، فدعا به فجعل يصيح عليه وأبو سفيان يتذلل له ويتواضع

يدعونا بالكبر ...

الصفحة الأولى من نسخة مراد ملّا

نسخة الفاتحة



النص المحقق

كتاب «مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر»

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على سيدنا محمد[1]

قال الشيخ الإمام الحافظ العلَّامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله:

فأما الخلفاء وملوك الإسلام، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة، يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله[2].

(1) في نسخة **الفاتح**: وبه نستعين.

(2) يؤكد اليعقوبي على الملامح العامة لنظريته في هذين السطرين، بأن الناس تقلِّد الخلفاء، إذ هم رموز المجتمع آنذاك، وأن الناس مولعة بمتابعة السمات الشخصية فيهم من أزياء الموضة، والاهتمامات، وليس في مجال السياسة، وهذه ليست كل نظريته، وقد وضحت المقدمة تفصيل للنظرية من خلال تتبع منهج اليعقوبي.

[ذكر الخلفاء الراشدين][1]

1 ـ فكان **أبو بكر**[2] بعد رسول الله ﷺ أزهد الناس، وأشدهم تواضعًا، وتقللًا في لباسه، وكان يلبس وهو خليفة الشَّمْلَـة[3] والعباءة[4]، وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود[5] الوشي[6] والحِبَر[7]، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم، وذهبوا مذهبه، واقتفوا أثره[8].

(1) زيادة ليست في الأصل، للإيضاح.

(2) زاد في نسخة **فاتح**: «رضي الله عنه». ومدة خلافة أبي بكر سنتان (11 هـ ـ 13هـ/ 632 ـ 634م) واسمه عبدالله بن (أبي قحافة) عثمان بن عامر. جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي. **تاريخ الخلفاء**، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، 1434هـ، ص 99.

(3) الشملة: هي البردة، إلا أنها تزيد عنها بحياكة بعض الزينة في أطرافها، وهي كساء شائع في عهد النبي ﷺ، ويرى دوزي أنها تشبه شملا، وهي كلمة عبرية تشير إلى رداء الفقراء، وكانوا يستخدمونها كلباس في النهار وغطاء في الليل كالرداء. رينهارت دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ترجمة أكرم فاضل، ضمن اللسان العربي: مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، الرباط: جامعة الدول العربية، المجلد الثامن ج3، ص 64.

(4) العباءة وتسمى العباة والعباية: ملحفة مفتوحة من الجهة الأمامية، لا أكمام لها ولكن فيها تقويرات لإمرار الذراعين. دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس**، مرجع سابق، ص 64. ويقوم مقامها من ملابس أهل المملكة والخليج البشت، إلا أن البشت مفصل على الجسد ومطرز الجوانب وله أكمام.

(5) البرود: جمع بردة، وهي قطعة طويلة من القماش المصنوع من الصوف السميك الذي يستعمله الناس لكساء أجسامهم به في النهار، ويتخذونه غطاء بالليل، ولونه أسمر أو رمادي. دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس**، مرجع سابق، ص 43. ويبدو لي أن البردة هي التي يلبسها أهل ليبيا وموريتانيا وأفغانستان وباكستان الآن، والبردة كالسجادة التي طولها ثلاثة أضعاف عرضها تقريبًا، وتلف على الجسد العلوي حتى الركبة.

(6) الوشي: نوع من الثياب يأتي ملونًا ويأتي بنقوش. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (أبو الفضل). **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ج 15 ص 392.

(7) الحبر: جمع الحبرة، وهي نوع من البرد، وهذا يعني أنها رداء واسع مخطط. دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس**، مرجع سابق، ص 26.

(8) من المعمول به في قواعد السلوك العربية وآدابها عدم التفوق الاجتماعي والاقتصادي على من هو أعلى مكانة، أو من هو ندّ، وهذا السلوك معتمد الآن في الأعراف الدبلوماسية. وفي رأيي أن موقف أشراف اليمن وملوكها يقع في سياق قواعد السلوك وهم بحضرة الخليفة، =

وكان ذو الكُلَاع، ملك حمير، فيمن قدم على أبي بكر في عشيرته وقومه وعليه التاج، وكان له عشيرة ألف عبدٍ خولًا[1] في مخاليفه[2]، فلما رأى لباس أبي بكر قال: ما ينبغي لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ، فنزع لباسه الأول، وتشبه بأبي بكر، حتى إنه رُئي في سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه، فقالت له عشيرته وقومه: فضحتنا، أنت سيدنا تحمل شاة[3] بين المهاجرين والأنصار! قال: «فأردتم مني أن أكون جبارًا في الجاهلية جبارًا في الإسلام».

وكان الأشعث بن قيس، ملك كندة، يلبس التاج، ويُحَيَّا بتحية الملوك، فلما أسلم بعد ارتداده، وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة، تواضع بعد التكبر، وتذلل بعد التجبر، حتى كان يشد عليه شملة خلقة[4]، ثم يهنأ[5] البعير بيده، تشبهًا بأبي بكر واطراحًا للأخلاق التي كان عليها في الجاهلية.

= وليس تمذهبًا، في حين نجد أن موقف ذي الكلاع والأشعث، الذي أكد عليهما اليعقوبي، قد تحول إلى سلوك ونمط حياة يومية.

(1) الخَوَل: تطلق على النَّعَم، والعبيد، والإماء. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 6، 1998م، ص 996. ويبدو من السياق كثرة النعم في اليمن واستخدامها للاستهلاك المظهري، مما شكّل صدمة ثقافية لذي الكلاع عندما رأى الوضع في المدينة، التي تمثل حاضرة الخلافة الإسلامية.

(2) المخلاف: مخلاف البلد: سُلطانه، وهو عند أهل اليمن، قال ابن بري: المخاليف لأهل الشام، والكور لأهل العراق، والرساتيق لأهل الجبال، والطساسيج لأهل الأهواز. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 9 ص 84، ونقل دوزي عن الإدريسي أن العرب تسمي الحصن مخلافًا. رينهارت دوزي. **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة مجموعة من المترجمين، الجزء التاسع، ترجمة جمال الخياط، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1999.ج 4 ص 183.

(3) المقصود: جلد شاة، كما يتضح من سياق النص.

(4) خلقة: جاء في **القاموس المحيط**: خَلَقَ الثوب: كنَصَرَ وكَرُم وسَمِع: بَلِي. والخَلَق: البالي. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ص 881، وما تزال الكلمة مستعملة في العامية، وتسمى الملابس القديمة البالية خلق وجمعها خلاقين.

(5) في هامش الأصل: «يدهنه بالكبريت ونحوه»، وهي شرح لمفهوم: يهنأ البعير.

وكان أبو بكر ﵁، لا يحمل أحدًا من الأشراف على التجاوز، حتى إنه بلغه عن أبي سفيان بن حرب [أمر][1] يكرهه، فدعا به، فجعل يصيح عليه، وأبو سفيان يتذلل له ويتواضع بين يديه، وأقبل أبو قحافة يقوده قائده، وكان قد عمي، فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده: على من يصيح أبو بكر؟ قال: على أبي سفيان ابن حرب. قال [أيا][2] عتيق: أعلى أبي سفيان ترفع صوتك؟ لقد تعديت طورك، فقال: يا أبه، إن الله قد رفع بالإسلام قومًا، ووضع به آخرين.

(1) في الأصل ونسخة **فاتح**: «أمرًا» خطأ.

(2) في الأصل ونسخة **فاتح**: «أبا» بالباء، وفي تحقيق ملورد: «أبو»، والتصويب من مقتضى السياق، فقد ذكر اليعقوبي أن أبا بكر اسمه: عبد الله بن عثمان بن عامر، ويلقب عتيقًا لجماله. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن أبي واضح الكاتب العباسي. **تاريخ اليعقوبي**، ليدن، 1883م، ج2 ص141.

2 ـ وكان **عمر بن الخطاب**[1] رحمه الله تعالى، مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه، شديدًا في ذات الله[2]. فكان عمَّاله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون [به][3]، ولا يفارق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

وكان يلبس الجبة[5] الصوف، ويشتمل بالعباءة، ويهنأ البعير، ويحمل قربة الماء على ظهره لأهله.

وكان العامل من عماله، وهم أمراء الأمصار والأجناد، وقد فتح الله عليهم وخَوَّلَهم ومَكَّنَ لهم وأغناهم وأكفاهم، يتحفَّون[6] ويخلعون النعال، ولا يلبسون الخفاف[7]، ويلبسون غلاظ الثياب، وإذا قدموا

(1) زاد في نسخة **فاتح**: «رضي الله عنه». ومدة خلافته (13 ـ 23هـ/ 634 ـ 644).

(2) كانت الصورة الذهنية عن شدة عمر بن الخطاب حاضرة في مشهد خلافته، وقد أدركها وأشار إليها في خطبة توليه للخلافة، ومما جاء فيها قوله: «بلغني أن الناس قد هابوا شدتي وخافوا غلظتي وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف إذا صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق» أحمد بن عبد الله المحب الطبري (أبو جعفر)، **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1405هـ ج2 ص 315، وكانت سيرته الشخصية في تقشفه والتزم بها مدة خلافته حتى اغتيل رضي الله عنه.

(3) لم ترد في الأصل ولا نسخة **فاتح**، وهي زيادة يقتضيها السياق، ووردت في تحقيق ملورد والفرا.

(4) لعل المراد بكلام اليعقوبي أن التواضع وخشونة الملبس والمطعم هو طبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن عمر. وقد سمى خليفة بن خياط عمال عمر على الأمصار. خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، ط 2، 1405هـ، ص 153 ـ 154.

(5) الجبة: ثوب مفتوح الأمام يلبس فوق القفطان، وفي الشتاء تبطن بالفرو. رجب عبد الجواد إبراهيم. **المعجم العربي لأسماء الملابس**، مصر: دار الإفاقة العربية، ط 1، 1423هـ ص 105، ويبدو أن الجبة هي ما يسمى اليوم البشت إذا كانت خفيفة، وفروة إذا كانت ثقيلة، ولبس النساء من الثقيلة يسمى بيدي.

(6) يتحفون: أصلها من: حفا، والاسم: الحفُوة والحِفية والحفاية: وهو المشي بغير خُفّ ولا نعل، واحتفى: مشى حافيًا، وحفاية وتحفاية، فهو حافٍ وحَفِيّ. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ص 1275.

(7) الخفاف: جمع خف، وهي نوع من الأحذية الجلدية، يلبس فوقها حذاء آخر. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق ص 153.

عليه قدموا شعثًا غبرًا، غلاظًا ثيابهم، شحبة ألوانهم، فإن رآهم أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم، وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر وسلوك فعله، وما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ، حتى إنه رُئي على أبي عبيدة بن الجراح، وهو أمير الشام وقد فتحها الله عليه، جُبَّة صوف قد تغيرت رائحتها، فقال أبو عبيدة: لقد جلست إلى رسول الله ﷺ، فيما هو أشد رائحة من هذا فما أنكره[1].

وكان سلمان الفارسي، عامل عمر بن الخطاب على المدائن، وكان يلبس غليظ الثياب، ويركب الحمارة ببرذعة مرسّنة[2] بحبل ليف[3]. وحضرته الوفاة، فأتاه سعد بن أبي وقَّاص فقال له: أوصني يا أبا عبد الله. فقال: نعم، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت[4]، وعند يدك إذا قسمت، وجعل سلمان يبكي. فقال له: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخِفّون»[5]، وأرى هذه الأساود[6]

(1) عدم إنكار النبي ﷺ لكراهة رائحة لبس أبي عبيدة لا يعد هو الأصل في هدي النبي، فسنة الإسلام هي النظافة في الملبس، وقد يكون لهذا الموقف ظرفه الخاص به.

(2) مرسنة: من الرَّسَن، وهو الحبل، وما كان من زمام على أنف، ويقال: رَسَنَهَا أي: شدها برسن. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ص 1200.

(3) حبل ليف: ليف النخل، معروف، والقطعة منه: ليفة، وأجود أنواع الليف هو جوز الهند. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 9 ص 322. والليف نسيج شبكي الشكل، يصلح لصناعة الحبال دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، مرجع سابق، ج 9 ص 295.

(4) في تحقيق ملورد والفرا «حكيت»، وهو خلاف ما ورد في الأصل، وخلاف سياق السجع والمعنى.

(5) الحديث في: سكينة الشهابي. **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، دمشق: دار الفكر، ط 1، 1409هـ. ج 28 ص 303.

(6) في تحقيق عز الدين: (الأساور)، وحديث سلمان الفارسي في: عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي (أبو بكر ابن أبي شيبة). **مسند ابن أبي شيبة**، تحقيق عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الرياض: دار الوطن، ط 1، 1997م، ج 1 ص 306.

حولي. فنظرنا فما رأينا إلا إداوة[1] أو رَكْوة[2] أو قِدْرًا، أو مَطْهَرَة[3].

وولّى عمر بن الخطاب عُمَير بن سَعدٍ الأنصاري[4] جُند حمص، فأقام حولًا، ثم انصرف على جمله على الحال التي مضى من عند عمر بها. فقال عمر: ويح قوم ولّيت عليهم، أما عرفوا لك حقًا؟ أو كما قال.

وحجّ عمر بن الخطاب فقال لابنه عبد الله: كم أنفقنا في حجّتنا؟ فقال: ستة عشر دينارًا، فقال: لقد أسرفنا في هذا المال.

---

(1) الإداوة: هي المطهرة، وهي من أواني الماء. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 14 ص 24.

(2) ركوة: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 14 ص 333.

(3) مِطْهَرَة: الإناء الذي يُتوضأ به، ويُتطهر به. وكل إناء يتطهر منه، مثل: سطل، أو ركوة، فهو مطهرة. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 4 ص 506. ومغزى الإشارة إلى تركته، أنه يعيش عيشة الكفاف، وقاسها بأوانٍ منزلية متواضعة.

(4) عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري، صحابي، ولاه عمر بن الخطاب على حمص لمدة سنة، وذكره خليفة ضمن عمال عمر على الجزيرة. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 155؛ يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (أبو عمر). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عادل مرشد، الأردن: دار الإعلام، ط 1، 2002م، ص 486.

3 ـ وكان **عثمان بن عفان**[1] ﵁، في السماحة والجود وصلة الأرحام ورفع القرابة واتخاذ المال على ما كان عليه، فامتثل الناس فعله، فبنى عثمان داره بالمدينة، وأنفق عليها مالًا جليلًا، وشيدها بالحجارة، وجعل على أبوابه مصاريع الساج[2]، واتخذ أموالًا بالمدينة وعيونًا وإبلًا[3].

قال عبد الله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار، وألف ألف درهم[4]، كانت ضياعه بئر أريس[5] وخيبر[6] ....

(1) مدة خلافته (23 ـ 35هـ/ 644 ـ 656م).

(2) المعروف من رواية المؤرخين أن لعثمان دارًا كبرى فاخرة، وهي التي قُتل فيها، ويلحق بها دار صغرى، وهما شرقي المسجد النبوي، وقد شملتهما التوسعة العمرانية الأولى. محمد إلياس عبد الغني. **بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف**، (د. ن) ط 4، 1420هـ، ص 89 ـ 91.

(3) برز في عهد عثمان ﵁ طبقة النخب الاقتصادية والاجتماعية، كان طلائعها هم الصحابة، ثم التابعين ومن بعدهم، وانتشرت ظاهرة القصور المحاطة بالمزارع، وأكثرها يقع على ضفاف وادي العقيق، ووصف بعضها كبار مؤرخي المدينة، مثل: السمهوري في «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**»، كما حقق عبد القدوس الأنصاري مواقع عدد من القصور الأثرية بالمدينة في: عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنورة**، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط 3، 1393هـ، ص 46 ـ 61.

(4) القراءة العصرية للرقم: مليون درهم.

(5) بئر أريس: بئر مشهورة في التاريخ، وتسمى بئر الخاتم لسقوط خاتم النبي ﷺ فيها من يد عثمان بن عفان، وهي تقع غربي مسجد قباء بأربعين مترًا تقريبًا، وتعرضت للتجديد والترميم في العهد العثماني، وقد جفت الآن. الأنصاري، **آثار المدينة المنورة**، مرجع سابق، ص 241 ـ 243.

(6) خيبر: إحدى محافظات منطقة المدينة، وتبعد عنها 150 كيلو متر تقريبًا من الشمال، وما تزال تحتفظ باسمها القديم، وصفها الفيروزآبادي بأنها: ولاية مشتملة على حصون ومزارع. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (أبو طاهر). **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، ط 1، 1389هـ، ص 134.

ووادي القرى[1] قيمته مائتا ألف دينار، وخلَّف خيلاً وإبلًا.

وفي أيام عثمان اتخذ أصحاب رسول الله ﷺ الأموال وبنوا الدور. [فبنى][2] الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق والتجارات، وبنى الزبير أيضًا دارًا بالكوفة ودارًا بمصر ودارًا بالإسكندرية، وبلغ ثمن مال الزبير خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس وألف مملوك، وخططًا[3] بمصر والإسكندرية والكوفة والبصرة.

وبنى طلحة بن عبيد الله دورًا وعقارات قوّمت بمائة ألف دينار. وكانت[4] غلته بالعراق في كل يوم ألف وافٍ، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار. وبنى داره بالجص[5] ....

(1) وادي القرى، يقع في محافظة العلا، شمال المدينة بنحو 300 كيلو متر ويتبعها إداريًا. وصفها الفيروزآبادي بأنه وادٍ كبير من أعمال المدينة، كثير القرى بين المدينة والشام، فتحه النبي ﷺ وسلم عنوة، في سنة سبع للهجرة لما فرغ من خيبر. الفيروزآبادي، **المغانم المطابة**، مرجع سابق، ص 423.

(2) تكررت كلمة «بنى» في الأصل بصيغتي «بنى» و«بنا»، وقد وحدتها بصيغة «بنى»، دون إثقال الهوامش بالتنبيه في كل مرة.

(3) الخطط: مفردها الخِطُّ والخِطة، وهي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك، وقد خطها لنفسه خطًا واختطها، وهو أن يُعلّم عليها علامة بالخط، ليُعلم أنه قد اختارها ليبنيها دارًا. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 7 ص 2282. وخطط المكان، أي: قسمه وهيأه للعمارة. **مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط**، مصر: مجمع اللغة العربية، ط 4، 1424هـ/ 2004م، ص 244، ويبدو أن المعنى يشبه ما يسمى اليوم مخططات الأحياء، أي: امتلاك أرض خام كبيرة، ثم تقطيعها إلى وحدات صغيرة بعد تخصيص المرافق العامة فيها، وتحديد شوارعها.

(4) حصل سقط عدد من الأوراق في نسخة **فاتح** بعد هذه الكلمة شملت غالبية الكتاب، حتى الصفحة ما قبل الأخيرة التي تبدأ بعبارة: «الخلفاء تركب بالحلية»، وذلك في ترجمة الخليفة المعتز.

(5) الجص ويسمى الجِبس: نوع من الحجارة تطحن وتحرق لتستخدم في البناء، لطلاء جدران البيوت. عاصم محمد رزق. **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، القاهرة: =

والآجُرّ[1] والساج[2]، وترك من الذهب والفضة مالًا جليلًا.

وبنى عبدالرحمن بن عوف داره فوسعها، وكان له ألف بعير وعشرة آلاف شاة ومائة فرس. وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألف دينار.

وبنى سعد بن أبي وقَّاص داره بالعقيق[3] فشيَّدها، وجعل لها شرافات.

قال سعيد بن المسيّب: وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، ومالًا وضياعًا وعيونًا مبلغها مائة ألف وخمسون[4] ألف دينار.

وترك يعلى بن منبّه التميمي خمسمائة ألف دينار، وعقارات وضياعًا وعيونًا[5] بقيمة ثلاثمائة ألف دينار. وبنى المقداد[6]......................................

= مكتبة مدبولي، ط1، 2000م، ص 63.

(1) الآجر: فراسي معرب، وهو اللَّبِن إذا طُبخ لكي يستخدم في البناء، وكان الآجر من أهم المواد المستخدمة في بناء العمائر المختلفة ولا سيما في البلاد التي يندر فيها الحجر، وهو يستخدم في جميع أجزاء البناء الداخلي والخارجي، وله أشكال وأحجام كثيرة. رزق، **معجم مصطلحات العمارة**، مرجع سابق، ص 11.

(2) الساج: خشب يجلب من الهند، وهو شجر عظيم جدًا، ويذهب طولًا وعرضًا. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 2 ص 303.

(3) العقيق: من أكبر أودية المدينة وأهمها، أقطعه النبي ﷺ لبلال بن الحارث المزني، ثم عمر ابن الخطاب للناس، وعليه أموال أهل المدينة. الفيروزآبادي، **المغانم المطابة**، مرجع سابق، ص 266. وعلى ضفاف الوادي الآن بعض الآثار لمساكن الصحابة والتابعين ومزارعهم.

(4) في الأصل: «وخمسين».

(5) في الأصل: «وديونًا» خطأ، وفي نسخة **فاتح**: «ذيونًا»، والتصويب من تحقيق الفرا.

(6) المقداد بن عمرو، ويقال له: ابن الأسود، صحابي، من الأبطال، شهد فتح مصر، سكن المدينة، وتوفي على مقربة منها في أرضه بالجرف سنة 33هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ص 699.

قصره بالجُرف[1] باللَّبِن[2]، وجصص باطنه وظاهره، وجعل له شرافات[3]، ولم يفعل أحد من الناس هذا على عهد عمر، وإنما فعلوه بعده[4].

(1) الجرف: اسم لأكثر من موضع بالحجاز، ويبدو أن المقصود هنا هو بالمدينة، وهي أرض زراعية تُرى من جبل سلع، وهي أيضًا موضع شمال المدينة بثلاثة أميال، به أملاك لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة. عاتق بن غيث البلادي. **معجم معالم الحجاز**، مكة المكرمة: دار مكة للنشر، ط 2، 2010، ص 353. ويروى أن النبي ﷺ أقطع الزبير أرضًا فيها نخل من أموال بني النضير، وأنها كانت أرضًا يقال لها الجُرف. يعقوب بن إبراهيم (القاضي أبي يوسف). **الخراج**، بيروت: دار المعرفة، 1399هـ/ 1979م، ص 61.

(2) اللبن: ما يصنع من الطين على شكل مربع للبناء. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ص 1229، وتستعمل الكلمة في بناء البيوت الطينية، وهي تقوم مقام البلك في البيوت المسلحة بالحديد والإسمنت.

(3) الشرافات: جمع شُرفة، وهي أعلى الشيء، والشرفة من البناء: ما يوضع في أعلاه يحلّى به، وهي أيضًا بناء خارج من البيت يستشرف منه على ما حوله. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص 480.

(4) يبدو لي أن ظاهرة بناء الدور والنشاط العمراني في عهد عثمان رضي الله عنه كانت لدوافع طبقة النخب الاجتماعية والاقتصادية التوسع في المسكن وملحقاته من بساتين، إذ لم يعرف عهد عثمان بأنه من عصور النهضة العمرانية، ولا اشتهرت المباني الخاصة والمرافق العامة بنمط زخرفي معين. ومن جانب آخر لم تظهر فكرة الاستهلاك المظهري في ذلك العصر، ولا يعد اتخاذ الدور الواسعة من محددات المكانة الاجتماعية والاقتصادية.

4 ـ وكان **علي بن أبي طالب**[1]، عليه السلام[2]، مشغلًا أيامه كلها بالحرب، إلا أنه لم يلبس ثوبًا جديدًا، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال، إلا ما كان له بينبع والبغيبغة[3] مما تصدق به.

وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربعمائة خطبة حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم وكلامهم.

(1) مدة خلافته (35 ـ 40هـ/ 656 ـ 661م). وفي عصره وقعت فتن وحروب بسبب اختلاف وجهات النظر وظهور الفكرة ونقيضها بين الصحابة والتابعين، وكان لها تأثير كبير وانعكاس على تاريخ الأمة حتى اليوم، من أخطرها وقعة الجمل سنة 36هـ، ووقعة صفين سنة 37هـ، ومعركة النهروان سنة 38هـ.

(2) في تحقيق الفرا: «رضي الله عنه».

(3) البغيبغة: وردت الكلمة في الأصل غير منقوطة، والمثبت من تحقيق الفرا. والبُغَيبغة: «ضيعة بالمدينة، كانت وقف علي بن أبي طالب على ولد فاطمة، ومكانها ينبع النخل، وهي الآن خراب. الفيروزآبادي، **المغانم المطابة**، مرجع سابق، ص 60، وانظر هامشه.

[ذكر خلفاء بني معاوية][1]

5 ـ وكان **معاوية بن أبي سفيان**[2]، فبنى القصور، وشيد الدور وعلّا الستور، واتخذ الحرس، واتخذ الشرطة، وأقام الحجّاب، وبنى المقاصير[3] في المساجد، وركب الدّواب الهماليج[4] بالسروج المصفّفة، ولبس الَخزّ[5] والوشي[6]، واتخذ الصوافي[7] والضياع، وعمل له الطراز[8] باليمن وبمصر والإسكندرية والرّها، فاتخذ أهله وولده وعماله ما اتخذ، وفعلوا مثل ما فعل.

فبنى عمرو بن العاص داره بمصر، واتخذ لنفسه الضياع، وغرس في ضيعته التي يقال لها الوهط بالطائف ألف ألف عود كرم[9]، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم، وخلّف عمرو يوم مات

(1) زيادة ليست في الأصل، للايضاح.

(2) مؤسس الدولة الأموية، مدة خلافته (41 ـ 60هـ/ 661 ـ 680م).

(3) المقاصير جمع مقصورة: وهي سياج أو حجرة مخصصة في المسجد لمكان صلاة الأمير أو الخليفة، ويوجد خلاف في أول من بناها، من أقدمها أن أول من بناها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدما تعرض الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطعن في المسجد، وقد تعرض عدد من خلفاء بني أمية للطعن في المسجد مثل: معاوية، ومروان بن الحكم. رزق، **معجم مصطلحات العمارة**، مرجع سابق، ص 301.

(4) الهماليج: جمع هملاج، وهو حسن سير الدابة في سرعة. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 2 ص 393.

(5) الخز: فارسية معربة، وهي نوع من ثياب الحرير، وقيل تنسج من صوف وحرير. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 148.

(6) الوشي: نسيج من الحرير المطرز برسوم الأشخاص والحيوان والنبات المزينة بخيوط الذهب، وقد شاع لبس الوشي لدى خلفاء بني أمية، وانتشر أكثر فيما بعد في الدولة العباسية، وصار من أكثر المنسوجات المفضلة لدى الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 529 ـ 530 ، وقد سبق تعريفه مختصرًا.

(7) الصوافي: هي الضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته، وهي أيضًا: الأملاك والأرض التي جلا أهلها عنها، أو ماتوا ولا وارث لها، المفرد: صافية. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 14 ص 463.

(8) الطراز: خيط من حرير أو ذهب يحيط رسمًا مطرزًا، وتطريزًا وزركشة حول قطعة من النسيج. دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، مرجع سابق، ج 7 ص 37.

(9) القراءة العصرية للرقم: مليون عود كرم.

ثلاثمائة ألف دينار. وقال لما حضرته الوفاة: يا ليتها كانت مائة ألف دينار[1].

وفعل عبد الله[2] بن عامر بن كريز[3] عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك، فحفر الأنهار، وشيد الدور، وبنى القصور، واتخذ الضياع والأموال والأجنّة[4] بالبصرة وبمكة والطائف.

وفعل زياد[5] عامل معاوية على العراق، ذلك بالكوفة والبصرة وسائر العراق، واتخذ الضياع، وبنى وشيد البنيان. وخلّف زياد يوم مات ستة آلاف درهم ومائة ألف دينار[6]، فأخذها معاوية. وهكذا كان معاوية يقول لعماله[7]، وربما شاطر ورثته[8].

وفعل مسلمة بن مخلد[9] عامل معاوية على مصر مثل ذلك، فاتخذ

(1) لم يتضح لي الفرق بين ثلاثمائة ألف ومائة ألف.

(2) في الأصل: «عبد الله عبد الله» مكررة سهوًا.

(3) عبد الله بن عامر بن كريز، ممن حنكهم النبي ﷺ، كان واليًا للبصرة في زمن عثمان رضي الله عنه، وقد أشار ابن قتيبة إلى بعض عقاراته وثروته، توفي سنة 59هـ. عبد الله بن مسلم بن قتيبة (أبو محمد)، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ط 4، ص

(4) الأجنة: يقال للبستان جنان، ويجمعونه على: أجنَّة، وهو خطأ، كما في: محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي (أبو بكر). **لحن العوام**، تحقيق رمضان عبد التواب، مصر: دار الخانجي، ط 2، 1420هـ، ص 149.

(5) يبدو أن المقصود زياد ابن أبي سفيان، فقد ولاه معاوية على البصرة وأعمالها، فلما مات المغيرة بن شعبة جمع له العراقين، فكان أول من جمعا له، توفي سنة 53هـ. ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 346.

(6) في تحقيق الفرا: «ستة آلاف ألف دينار ومائة ألف درهم»، وفي تحقيق عز الدين: «ستة آلاف ألف دينار».

(7) في تحقيقي ملورد والفرا: «يفعل بعماله».

(8) في تحقيق الفرا: ورثتهم.

(9) مسلمة بن مخلد بن الصامت الخزرجي، أبو معاوية، توفي في آخر ولاية معاوية ابن أبي سفيان سنة 59هـ. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 210، 223، 227؛ خليفة بن خياط. **الطبقات**، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1387هـ/ 1967م، ص 98، 292.

ضياعًا بمصر وقفها على قومه، وخلّف يوم مات مائة ألف دينار وألف ألف درهم.

وجعل عقبة بن عامر الجهني[1] - وكان عامل معاوية أيضًا على مصر - ضِيَاعًا بمصر، وحبس بعضها، وبنى دارًا بمصر بالحجارة والجص، وخلّف ثلاثين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم.

وباع حويطب بن عبد العزى[2] دارًا من معاوية بأربعين ألف دينار، فقيل له: يا أبا محمد أربعون ألفًا؟ فقال: وما أربعون ألف دينار لرجل عليه ستة من العيال.

وكان معاوية يقول: أنا فتقت المُلك[3].

(1) عقبة بن عامر الجهني، أمير، صحابي، شهد صفين مع معاوية، ولي مصر، وتوفي بمصر سنة 58هـ. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ص 561.

(2) حويطب بن عبد العزى، صحابي، قرشي، من المؤلفة قلوبهم، وردت قصة شرائه منزل معاوية في الاستيعاب، برواية خمسة عيال، كان من أهل مكة فانتقل إلى المدينة ومات بها سنة 54هـ وقد عُمّر طويلًا. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، مرجع سابق، ص 187.

(3) يبدو أن معنى قوله: «فتقت الملك» أي: بدأته من غير سابق نموذج عربي. وقد تمتع معاوية رضي الله عنه بالعيش كما يعيش الملوك منذ أن كان أميرًا على الشام بعد أن فتحها، ثم ولي عليها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويروى أنه عندما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر، قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيًا إلى بلاد الحجاز. قال: يا أمير المؤمنين، إنا بأرضٍ جواسيسُ العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله، ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر: يا معاوية، ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضَّرِس، لئن كان ما قلت حقًا، إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلًا إنه لخدعة أديب، قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت؟ قال: لا آمرك ولا أنهاك. إسماعيل بن كثير (أبو الفداء). **البداية والنهاية**، تحقيق مجموعة من العلماء والباحثين، دمشق: دار ابن كثير، ط 2، 2010م، ج 8 ص 181.

6 ـ وكان **يزيد بن معاوية**[1] صاحب طَرْد وجوارح وكلاب، ولهو ومنادمة على الشراب، فغلب ذلك على أصحابه.

وفي عصره ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الأشراف الشراب.

(1) مدة خلافته (60 ـ 64هـ/ 680 ـ 683م).

7 ـ ثم كان **عبد الملك بن مروان**[1]، فكان صارمًا حازمًا بخيلًا، يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح، وكان في عصره فحول الشعراء، جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم. وكثر الشعر في أيام عبد الملك، وامتدحت الشعراء الأمراء والأشراف، وطلبت الثواب[2].

وكان لعبد الملك إقدام على الدماء ومعاجلة، فكان عماله على مثل مذهبه، الحجاج بالعراق، والمهلب[3] بخراسان، وهشام بن إسماعيل المخزومي[4] بالمدينة، وعبد الله بن عبد الملك[5] بمصر، وموسى بن نصير اللخمي[6] بالمغرب، ومحمد بن يوسف

(1) مدة خلافته (65 ـ 86هـ/ 685 ـ 705م).

(2) يعد العناية بالأدب والشعر هو السمة المميزة لعصر الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد أشار إليها المؤلف على عجل، ثم انتقل فجأة ليرسم عنه صورة ذهنية ليست له، وهي إقدامه هو وعمَّاله على القتل، وهذه لها ظرف سياسي يدرس في سياقه. ومن الصعب تقبل فكرة أن تكون هي الصورة الذهنية لعصره.

(3) المهلب بن أبي صُفرة، أمير، بطاش، من أعيان أهل بالبصرة وفرسانهم وأجوادهم، وأقام في المدينة في أيام عمر، اشتهر بإبادته للخوارج، ولي خراسان سنة 79هـ، ومات فيها سنة 83هـ. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (أبو عبد الله). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م، ج 2 ص 1010.

(4) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي، والي المدينة، وكان من أعيانها، توفي بدمشق سنة 88هـ. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 9 ص 238.

(5) عبد الله بن عبد الملك بن مروان الأموي، ولي مصر سنة 86هـ، وكانت الدواوين تكتب بالقبطية، فأمر بتحويلها إلى العربية، عزله الوليد سنة 90هـ، بعد أن نقمت عليه العامة بسبب ارتفاع الأسعار. محمد بن يوسف الكندي (أبو عمر)، **الولاة وكتاب القضاة**، عُني به المستشرق رفن كَست، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م، ص 59، 406 ـ 407.

(6) موسى بن نصير اللخمي بالولاء، من أشهر الشخصيات التاريخية، فتح الأندلس، له غزوات كثيرة، وتولى مناصب رفيعة لبني أمية، من أهم رجاله طارق بن زياد، توفي بالمدينة سنة 97هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 2 ص 1176، ويلحظ أن سيرته توصف في البلدان التي فتحها في المغرب وإسبانيا بالعدل والحكمة، وليست غاشمة كما أشار اليعقوبي، كما أن اسمه لم يرد في بعض الروايات، وستأتي بعد صفحة لقائلها عمر بن عبد العزيز.

الثقفي[1] أخو الحجاج باليمن، ومحمد بن مروان[2] بالجزيرة[3] والموصل، وكلهم جائر ظالم غشوم عسوف، وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء.

(1) محمد بن يوسف الثقفي، أمير اليمن، يوصف بالظلم، توفي سنة 91هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 2 ص 1166.

(2) محمد بن مروان بن الحكم الأموي (... ـ 101هـ/ ... 720م) أمير، من الشجعان، كان والي الجزيرة لأخيه الخليفة عبد الملك، اشتهر بقوة البأس في بدنه وفي شخصيته، توفي سنة 101هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 3 ص 163.

(3) الجزيرة: سماها ياقوت: جزيرة أقور، وقال: سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات. ياقوت الحموي. **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، 1397هـ/ 1977م، ج 2 ص 134.

8 ـ وكان **الوليد بن عبد الملك**[1] جبارًا عنيدًا ظلومًا، وكان عماله في جميع البلدان على مثل مذهبه[2].

فكان عمر بن عبدالعزيز يقول: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيّان[3] بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، وقرة بن شريك[4] بمصر، وموسى بن نصير بأفريقيا[5]. امتلأت الأرض جورًا.

ولم يعرف من مذهب الوليد شيءٌ إلا بناؤه المساجد، فإنه بنى مسجد دمشق[6].

---

(1) مدة خلافته (86 ـ 96هـ/ 705 ـ 715م).

(2) أشار خليفة بن خياط في تاريخه إلى عمَّال الوليد بن عبد الملك في البلدان، وأغلبهم ممن كان في زمن والده الخليفة عبد الملك بن مروان وأقرهم الوليد، وفيهم رجال أكفاء، مثل: قتيبة بن مسلم في خراسان، ومنهم عمر بن عبد العزيز على المدينة، تولاها سنتين. كما عين أبناؤه: عبد العزيز بن الوليد على دمشق، وعمر بن الوليد على الأردن، والعباس بن الوليد على حمص، وأخيه سليمان بن عبد الملك على فلسطين. ومن هنا يتضح أن النص الذي نقله اليعقوبي عن عمر بن عبد العزيز يمثل ست شخصيات من عشرات الشخصيات القيادية، وقد تكون كثيرة بمعايير عمر، وليس بمعايير العصر. انظر: **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، على حمص، وأخيه سليمان بن عبد الملك على فلسطين. ومن هنا يتضح أن النص الذي نقله اليعقوبي عن عمر بن عبد العزيز يمثل ست شخصيات من عشرات الشخصيات القيادية، وقد تكون كثيرة بمعايير عمر، وليس بمعايير العصر. انظر: **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 309 وما بعد.

(3) عثمان بن حيان بن معبد المري، ولاه الوليد على المدينة سنة 93هـ، حتى وفاة الوليد، وكان في سيرته عنف روى له مسلم وابن ماجة حديثًا واحدًا في الصوم في السفر. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 311؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. **تهذيب التهذيب**، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج 3 ص 59.

(4) قرة بن شريك بن مرثد القيسي العبسي، ولي نيابة مصر زمن الوليد سنة 90هـ، كان جبارًا ظلومًا، توفي سنة 96هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 2 ص 1158.

(5) تولى موسى بن نصير أفريقيا لمدة سنتين من خلافة الوليد، ثم استخلف عليها ابنه بإذن من الوليد. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 311.

(6) الواقع أن شهرة الوليد كانت في النهضة العمرانية التي دعمها، وأشاعها بين طبقات المجتمع، وجعل منها ثقافة شعبية، يقول ابن كثير: «وقالوا: وكانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟». ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 9 ص 354، ويوصف عهد الوليد بحضارة عمرانية وزراعية متطورة وواسعة، إذ بنى مسجد دمشق، ويعد من المشروعات الضخمة في حينه، وبنى القصور في المدن والبادية. أحمد إسماعيل علي. **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي**، دمشق: دار دمشق، ط 3، 1994م، ص 190.

9 ـ ثم كان **سليمان بن عبد الملك بن مروان**[1]، فكان صاحب طعام وأكل كثير يتجاوز المقدار، ولباس الثياب الرّقاق، وثياب الوشي جبابًا[2] وأردية[3] وسراويلات[4] وعمائم[5] وقلانس[6]. فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا في الوشي، وكذلك عماله وأصحابه وخدمه ومن في داره. وكان لباسه في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر.

وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلا في الوشي حتى الطباخ، فإنه كان يدخل إليه في جبة وشي وطويلة وشي[7].

(1) مدة خلافته (96 ـ 99هـ/ 715 ـ 717م).

(2) سقطت كلمة «جبابًا» في تحقيق الفرا.

(3) الأردية: جمع رداء، وهو ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، أو هو ما يستر الجزء الأعلى من الجسم. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 194.

(4) السراويل: وتسمى الشراويل، كلمة فارسية معربة، وهي اللباس الذي يستر العورة. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 234.

(5) العمائم: جمع عمامة، لباس عربي مشهور، يلف على الرأس. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 333.

(6) القلانس: جمع قَلَنسَوَة، لاتيني معرب، يعني غطاء الرأس أو قبعة. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 402.

(7) يتسم الخليفة سليمان بن عبد الملك بالاستهلاك المظهري من شره في المأكل والملبس، ولكن ليست هذه هي الصورة الذهنية الشعبية عنه، إذ يذكر ابن خلكان: «وكان الناس يتبركون به، ويسمونه مفتاح الخير، وذلك أنه أذهب عنهم سنة الحجاج، وأطلق الأسرى وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكان يقال: فتح بخير وختم بخير». أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1398هـ/ 1978م، ج 2 ص 420

10 ـ ثم كان **عمر بن عبد العزيز بن مروان**[1]، ولِّيَ بتواضع ونسك وتزهد ودين وتقرب لأهل الفضل[2]. فعزل عمَّال الوليد، واستعمل أصلح من قدر عليه.

فكان عماله يذهبون مذهبه، وارتفع عن الناس ما كانوا فيه من الجور والظلم، وترك لعن علي بن أبي طالب، عليه السلام[3]، على المنابر، وجعل مكانه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية.

(1) مدة خلافته (99 ـ 101هـ/ 718 ـ 720م).

(2) روى المؤرخ ابن كثير بأنه: «كانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن، وفي الصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم وردك، كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة؟». ابن كثير، **البداية والنهاية،** مرجع سابق، ج 9 ص 354.

(3) في تحقيق الفرا: « رضي الله عنه ».

(4) سورة الحشر، الآية: 10.

11 ـ وكان **يزيد بن عبد الملك**[1]، فهو أول خليفة اتخذ قينة، وغلبت على أمره امرأة، فكانت حبَابة[2]، جاريته المغنية، تولي وتعزل، وتطلق وتحبس، وتأمر وتنهى.

وكان مع ذلك يسرع إلى الدماء والأموال، وعاود عماله ما كانوا عليه من الجور.

(1) مدة خلافته (101 ـ 105هـ/ 720 ـ 724م).

(2) حبَابة: مغنية اشتراها يزيد من مولاها وارتفعت مكانتها عنده. علي بن الحسين الأصفهاني (أبو الفرج). **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، بيروت: دار صادر، ط 3، 2008م، ج 15 ص 85. وذكر ابن كثير أن اسمها حبابة بتخفيف الباء الأولى وليس تشديدها، وقد اشتهرت بجمالها. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج10 ص 62.

12 ـ ثم كان **هشام بن عبد الملك بن مروان**[1]، كان خشنًا فظًّا غليظًا بخيلًا، يجمع الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد كل شيء يُعمل له من الكسوة والفرش، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة، وفي أيامه عمل الخزّ الرَّقْم[2].

وكان الناس جميعًا في أيام هشام على مثل مذهبه في منع ما بأيديهم، وقلة الإفضال وانقطاع الرفد، حتى إنه يقال: لم يُرَ زمان أصعب على الناس من زمانه، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل والعطايا والجوائز والصلات، فاستعمل[3] الناس ذلك، وسلكوا سبيله، واقتدوا به.

وقال له أبو حازم[4] الأعرج: إنما أنتم سوق يحمل إليكم ما نفق عندكم.

(1) مدة خلافته (105 ـ 125هـ/ 724 ـ 743م)، ويوصف بحسن السياسة وسداد الرأي بخلاف ما يذكره عنه اليعقوبي.

(2) الرقم: نوع مخطط من الوشي، وقيل من الخز، يقال: خز رقم، كما يقال: بُرْد وشي. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 198.

(3) في الأصل: «فاستعملوا».

(4) في تحقيق ملورد «أبو سالم»، وفي تحقيق الفرا «أبو خازم».

13 ـ وكان **الوليد بن يزيد بن عبد الملك**[1] صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء[2]، وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه، وجالس الملقبين[3]، وأظهر الشراب والملاهي والعزف. وكان في أيامه ابن سريج المغني[4]، ومعبد[5]، والغريض[6]، وابن عائشة[7]، وابن محرز[8]، وطويس[9]،..................................

(1) مدة خلافته (125 ـ 126هـ/ 742 ـ 744م)، وقد مات الوليد مقتولا، وكان منذ ولايته للعهد مستهترًا بالحكم، ومولعًا بالشراب والطرب، ولما تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة هشام أنفق على الناس ببذخ، بعد أن عاشوا في ضنك عيش في عهد هشام المعروف ببخله على الشعب، ولكن الوليد بالغ في عزل عمال هشام، والتنكيل بهم، ثم أراد أخذ البيعة في ولاية العهد لولديه الصغيرين، وانتهت حياته بثورة شعبية في دمشق قادها يزيد بن الوليد بن عبد الملك. مروان عطية الزيدي، آراء المؤرخين في قضية مقتل الوليد بن يزيد، **مجلة آداب ذي قار**، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، مج 2 ع 6 ص 282. ويبدو أن الوليد أهمل شؤون الدولة، ولم يوفق في اختيار الرجال المخلصين، الحازمين، لأن مسألة الشراب واللهو لا تسقطه وحدها.

(2) يبدو أن الصورة الذهنية للغناء في التراث العربي كانت سلبية، إذ يرد في كثير من النصوص في سياق الانحطاط الأخلاقي أو مرتبطًا بشرب الخمر، وهذه ملحوظة جديرة بالتأمل، وفحص صورة الغناء في المتخيل الشعبي والنخبوي في التراث العربي.

(3) في تحقيق ملورد والفرا وعز الدين: «الملهين».

(4) ابن سريج: عبيد بن سريج، أبو يحيى، مولى بني نوفل بن عبد مناف، من أشهر المغنين والملحنين. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 1 ص 167.

(5) معبد المغني: اسمه معبد بن وهب، من أشهر المغنين والملحنين، من أهل المدينة، نابغة في الغناء. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 1 ص 46.

(6) الغريض: لقب للمغني المشهور عبد الملك، أبو يزيد، من مولدي البربر، سكن مكة، واشتهر بالعزف على عدد من الآلات الموسيقية، وتعلم الغناء على يد ابن سريج. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 2 ص 235.

(7) ابن عائشة: محمد بن عائشة، أبو جعفر، من مشاهير المغنين والملحنين في العصر الأموي، وكان يرتجل الألحان، من أهل المدينة. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 2 ص 132.

(8) ابن محرز: اسمه مسلم بن محرز، أبو الخطاب، مولى بني عبد الدار، فارسي الأصل عاش بين مكة والمدينة والشام، اشتهر بالغناء والتلحين. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 1ص 245.

(9) طويس المغني: اسمه عيسى بن عبد الله، مولى بني مخزوم، من أشهر المغنين في عصره، وأول من أدخل الإيقاع في الغناء، من أهل المدينة، وانتقل منها ونزل في السويداء حتى توفي =

ودحمان[1] وغلب شهوة الغناء على الأشراف، واتخذ الناس العيدان[2]، وكان متهتكًا ماجنًا خليعًا.

= بها سنة 92هـ. الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 3 ص 22؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مرجع سابق، ج 3 ص 506. ويلحظ من تاريخ وفاته أنه سابق لفترة حكم الوليد بن يزيد، وليس في أيامه كما يذكر اليعقوبي.

(1) دحمان: اسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث، ويلقب بدحمان، من مشاهير المغنين، كان ويوصف بالصلاح في سيرته، الأصفهاني، **الأغاني**، مرجع سابق، ج 6 ص 19.

(2) العيدان: جمع عُوُد، آلة موسيقية وترية يضرب عليها بريشة. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص 636، ويتميز العود بوجود مجموعتين من الأوتار، الأولى ممتدة على وجه العود ويصدر الألحان، والثانية موازية لرقبة العود وتستخدم كأوتار مطلقة. مجمع اللغة العربية. **معجم الموسيقى**، مصر: مجمع اللغة العربية، 1420هـ/ 2000م، ص 150.

14 ـ وكان **يزيد بن الوليد بن عبد الملك**[1]، فلم تطل أيامه فتعرف[2] أخلاقه ومذهبه، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاجّ فيه[3].

(1) مدة خلافته (126 ـ 126هـ/ 744 ـ 744م) ويلقب بيزيد الناقص، يقول المسعودي عن سبب تلقيبه بالناقص: «ولم يكن ناقصًا في جسمه ولا عقله، وإنما نقص بعض الجند من أرزاقهم، فقالوا: يزيد الناقص». علي بن الحسين بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، عُني به كمال حسن مرعي، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ/ 2005م، ج 3 ص 184.

(2) في تحقيق الفرا: «لنعرف».

(3) من المفارقات أن يؤمن يزيد بمذهب المعتزلة، وخاصة في أصولهم الخمسة. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 3 ص 184. ومعروف أن موقف المعتزلة من الأمويين سلبي، فهم لا يرون توفر العدالة في خلفاء بني أمية. حمدي شاهين، **الدولة الأموية المفترى عليها**، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 2001م، ص 34.

15 ـ وكان **مروان بن محمد بن مروان بن الحكم**[1]، فكان في أيامه[2] كلها في حروب، إلا أنه أول خليفة أظهر العصبية، وأوقعها في الناس[3].

وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد[4] صاحب الرسائل، وكان في أول أمره معلّمًا. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، فاستعمل الناس ذلك بعده.

(1) مدة خلافته (127 ـ 132هـ/ 744 ـ 750م) ويلقب بمروان الحمار لصبره وجَلَده في الحروب، ويُلقّب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 3 ص 732. ولقب الجعدي جاء من خصومه للتنقيص من شأنه.

(2) في الأصل: «أيامها».

(3) يقصد المؤلف العصبية القبلية، وكانت تحظى باهتمام شعبي كبير، وكان الشعراء هم الأداة المحركة لها شعبيًا، والمؤلفين هم أداتها الفكرية، ويروي المسعودي أن العصبية نشأت بين الشعراء في المفاضلة بين النزارية واليمانية، أو بين العدنانية والقحطانية، فانحاز الخليفة مروان بن محمد إلى النزارية، مما جعل اليمانية ينحازون إلى الدعوة العباسية، فكانت أحد أبرز أسباب سقوط الدولة الأموية. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 3 ص 193.

(4) عبدالحميد بن يحيى الكاتب، أبو يحيى، أشهر كُتّاب الرسائل، كتب الإنشاء لمروان بن محمد، وهو المقصود بمقولة: فُتحت الرسائل بعبدالحميد وخُتمت بابن العميد، قتل مع مروان بن محمد سنة 132هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 3 ص 684. ويبدو أن عبدالحميد قد أثر في تاريخ الفكر الأدبي فيما بعد، إذ صارت بعض أفكاره الأدبية من تقاليد الإنشاء الأدبي.

[ذكر خلفاء بني العباس][1]

16 ـ وولي أبو العباس أمير المؤمنين[2]، وهو **عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب**[3]، وكان أول ما فعله، فامتثله الناس أنه خطب على المنبر قائمًا، وكانت بنو أمية تخطب قعودًا، فناداه الناس: يا ابن عمّ رسول الله، أحييت سنة رسول الله ﷺ[4].

وكان سريعًا إلى الأمر بسفك الدماء[5]، فسفك [ابن] الأشعث[6] بالمغرب، وصالح بن علي[7] بمصر، وسفك خازم بن خزيمة[8]،

---

(1) وضع المؤلف عنوانًا لفصل بني العباس على خلاف منهجه، إذ لم يميز الخلفاء الراشدين ولا الأمويين بعنوان فاصل.

(2) ميز اليعقوبي الخلفاء العباسيين بلقب أمير المؤمنين، وهو تحيز ضد الأمويين.

(3) مدة خلافته (132 ـ 136هـ/ 750 ـ 754م)، يذكر ابن حزم ملاحظة في المراسم، إذ يرى أن خلفاء بني أمية لم يتسموا بألقاب كما هو الحال مع الخلفاء الراشدين (الصديق، الفاروق، ذي النورين)، وقد عادت مع مؤسس الدولة العباسية، فلقب بالسفاح. ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1987، **رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء** ج 1 ص 43 ـ 47.

(4) من المعروف أن الخطبة على المنبر ليست مندثرة حتى يسجل اليعقوبي إعادة إحيائها لأبي العباس.

(5) ما بعده يعد ضرب أمثلة من المؤلف للولاة الذين قلَّدوا الخليفة في التعجل بسفك الدماء.

(6) في الأصل: «الأشعث»، ومحمد بن عبد الرحمن بن الأشعث من أبرز رجالات أبي العباس السفاح، فتح أفريقيا لبني العباس، وتولاها لهم. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 10 ص 283.

(7) صالح بن علي بن عبد الله، توفي سنة 186هـ. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 457.

(8) خازم بن خزيمة: من أبرز رجالات أبي العباس السفاح، بالغ في القتل، حتى إنه قتل جماعة من بني عبد الدار، أخوال أبي العباس السفاح، فأراد التخلص منه، فأرسله إلى عمان سنة 134هـ، وكان بها حركة تمرد من الخوارج، فأخمد ثورتهم، وقتل أمير الصفرية من الخوارج واسمه الجلندى. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 10 ص 283.

وسفك حميد بن قحطبة[1] بالعراق، وسفك عبد الله بن علي[2] بالشام، وسفك داود بن علي[3] بالحجاز، وسفك يحيى بن محمد[4] بالموصل، وكان على ذلك سمحًا وصولًا جوادًا بالمال.

(1) حميد بن قحطبة: من رجالات أبي العباس السفاح، تولى إمارة الجزيرة بالعراق، ثم إمارة خراسان، وتوفي بها سنة 159هـ، وخلفه عليها ابنه عبد الله. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 421، 432 ـ 433.

(2) عبد الله بن علي: عم أبي العباس السفاح، وأخو صالح، ولاه السفاح على الشام. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 10 ص 282.

(3) داود بن علي: من رجالات السفاح الذين فتكوا ببني أمية، ولاه السفاح على الحجاز، ومات في المدينة بعد ثلاثة أشهر سنة 133هـ. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 10 ص 282.

(4) يحيى بن محمد بن علي، شقيق أبي العباس السفاح، ولي الموصل وفارس. ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 377.

17 ـ وكان **أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد**[1]، فكان أول هاشمي أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وأبي طالب بن عبد المطلب حتى قيل: عباسي وطالبي، وقيل كان ذلك أمر[2] بني هاشم كلهم، وكان أول خليفة اتخذ المنجمين وعمل بالنجوم.

وكان أول خليفة ترجم الكتب العجمية ونقلها إلى اللسان العربي، وفي أيامه تُرجم «كتاب كَلِيلَة ودِمْنَة»[3]، وترجم «كتاب السند هند»[4] وترجمت كتب أرسطاطاليس[5]، و«كتاب المجسطي»[6]، لبطليموس[7]، و«كتاب إقليدس»[8]، و«كتاب الأرثماطيقي»[9]، وسائر الكتب العجمية في النجوم والحساب والطب والفلسفة وغير ذلك، ونظر فيها الناس[10].

(1) مدة خلافته (136 ـ 158هـ/ 754 ـ 775م).

(2) في تحقيق ملورد: «اسم».

(3) ترجمه عبد الله بن المقفع من اللغة الهندية (السنسكريتية)، وله طبعات كثيرة.

(4) كتاب في الفلك، ترجمه من اللغة الهندية (السنسكريتية) إبراهيم بن حبيب الفزاري بأمر من أبي جعفر المنصور.

(5) انظر: قائمة كتب أرسطاطاليس في: محمد بن إسحاق النديم. **الفهرست**، أيمن فؤاد سيد، لندن: **مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي**، 1430هـ/ 2009م، ص 157.

(6) المجسطي: كتاب في **الفلك والرياضيات**، ترجمه من اليونانية حنين بن إسحاق.

(7) بطليموس: يعرف ببطليموس القلوذي، ويميز بأنه صاحب كتاب **المجسطي**، وهو غير بطليموس الغريب، وكليهما من فلاسفة اليونان. علي بن يوسف القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية/ ط1، 1426هـ/ 2005م، ص 78.

(8) إقليدس: فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، يلقب بأبي الهندسة، وطبع كتابه باسم «**في الأصول الهندسية**: وهو مشتمل على كتب إقليدس الستة».

(9) الإرثماطيقي: كتاب في الأعداد للفيلسوف اليوناني نيقوماخاس.

(10) ورد في كتاب «**الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة اليونانية ـ العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر**»، لديمتري غوتاس، ترجمة د. نقولا زيادة، تصحيح لكثير مما يشيع حول الترجمة في العصر العباسي وازدهارها قبل عصر المأمون.

وفي أيامه أيضًا وضع محمد بن إسحاق بن يسار كتب «المغازي»، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة.

وكان أول خليفة بنى مدينة فنزلها، وهي مدينة بغداد، وأخذ له الطالع في الوقت الذي اتخذ[1] بنيانها، فقيل له: إنه لا يموت بها خليفة.

وكان أبو جعفر قد نظر في العلم، وروى الحديث، وكثرت علوم الناس ورواياتهم في أيامه.

وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وقدمهم على العرب[2]، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده.

(1) في هامش الأصل: «ابتدأ».

(2) اتسمت هوية الدولة العباسية بانخفاض مكانة العرب وارتفاع مكانة القادة الفرس، وأول من أبدى هذه الملاحظة كان الجاحظ، إذ يقول: «دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية»، ونقل المؤرخ عبدالعزيز الدوري بعض مقولات المستشرقين المعاصرين وناقشها في: عبدالعزيز الدوري. العصر العباسي الأول: **دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**، بيروت: دار الطليعة، ط 3، 1997م، ص 35.

18 ـ وكان **المهدي**[1] سمحًا سخيًا كريمًا جوادًا بالأموال، وكان الناس في عصره على مثل مذهبه، واتسع الناس في أيام المهدي في معايشهم. وكان إذا ركب حملت معه البِدَر[2]، فلا يسأله أحد إلا أعطاه بيده، فتشبه الناس به.

فكان قصده قتل الزنادقة، وذلك أنهم كانوا قد كثروا. ومما كان ابن المقفع[3] ترجمه من كتب ماني الثنوي[4] وكتب أيضًا في[5] الثنوي[6] وغيرهما، وما وضعه ابن أبي العوجاء، وحماد **عجرد**[7]، ويحيى بن زياد[8]، ومطيع بن إياس[9]، وملؤوا به الأرض من كتب الملحدين، وكثرت الزنادقة، وفشت كتبهم في الناس.

(1) محمد بن عبد الله (المنصور) الملقب المهدي، مدة خلافته (158 ـ 169هـ/ 755 ـ 785م).

(2) البِدر: جمع البَدرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف [درهم]، سميت ببدرة السخلة، أي: جلدها. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 4 ص 49.

(3) عبد الله بن المقفع: من أشهر الكتَّاب في العصر العباسي الأول، وهو أول من ترجم كتب المنطق لأبي جعفر المنصور، وترجم بعض كتب فلاسفة اليونان. القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، مرجع سابق، ص 170.

(4) في الأصل: «ماني الينوني». وهو ماني بن فاتك الحكيم، مؤسس المانوية ـ وهي متفرعة من الثنوية ـ ظهر في زمن سابور بن أردشير، وأحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، قتله بهرام ابن هرمز بن سابور. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (أبو الفتح)، **الملل والنحل**، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط 1، 1387هـ/ 1968م، ج 2 ص 49.

(5) في تحقيق الفرا: (ابن ديصان) وهي زيادة ليست في الأصل.

(6) في الأصل: «الينوني».

(7) **حماد عجرد**: من كبار الأخباريين، يتهم بالزندقة، نقل الذهبي عن خلف بن المثنى أنه كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يُعرف مثلهم في تضاد أديانهم ونِحَلهم، وذكر منهم حماد عجرد، توفي سنة 155هـ، وقيل 161هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 4 ص 40.

(8) يحيى بن زياد: أبو زكريا الفراء، اللغوي الأديب المشهور، له أفكار تميل للاعتزال، واتهم بالزندقة، توفي سنة 207هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مرجع سابق، ج 6 ص 176.

(9) مطيع بن إياس الليثي: شاعر مبدع وماجن، اتهم بالزندقة، توفي سنة 169هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 4 ص 517.

وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد، وبنى المسجد الحرام على ما هو عليه إلى هذه الغاية.

وبنى مسجد رسول الله ﷺ، وكانت الزلازل هدمته.

19 ـ ثم كان **موسى بن المهدي**[1]، فكان جبارًا، وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة، والعُمد والقسي الموترة، فتشبَّه عمَّاله به، وذهبوا مذهبه[2].

(1) موسى (الهادي) بن محمد (المهدي)، مدة خلافته (169 ـ 170هـ/ 785 ـ 786م).

(2) لم يذكر المؤلف هنا أمثلة لتدعيم ملاحظته على خلاف منهجه.

20 ـ ثم كان **هارون الرشيد بن المهدي**[1]، فكان متابعًا للحج والغزو، وبناء المصانع والقصور[2] في طريق مكة والمدينة ومنى وعرفات[3]، وبنى ثمانية ثغور مثل طرسوس وغيرها، وبنى دورًا للمرابطين، فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتّابه به، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة دارًا وبالمدينة دارًا وبطرسوس دارًا تشبهًا به وعملًا بمثل عمله[4].

وكان أكثرهم لذلك فعلًا، وأحسنهم أثرًا زوجته أم جعفر بنت جعفر بن المنصور[5]، ثم البرامكة وزراؤه وغيرهم من مواليه وقوّاده وكتّابه.

وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالجة[6] والطباطب[7]، ورمى بالنُّشَّاب[8] في البُرْجَاس[9]، وقدّم أهل الحذق بذلك.

---

(1) مدة خلافته (170 ـ 193هـ/ 886 ـ 809م).

(2) في هامش الأصل وتحقيق ملورد: «والثغور».

(3) في تحقيق ملورد: «في طريق مكة والمدينة وبمكة والمدينة ومنى وعرفات».

(4) في هامش الأصل: «وبلغ كاتب الأحرف أن بمكة فوق مائتين وخمسين رباطًا».

(5) زبيدة بنت جعفر، من أشهر الشخصيات النسائية المعروفات بالبذل للفقراء وخدمة المجتمع وتنفيذ المشروعات الخيرية، خلدت سمعتها بعين زبيدة الشهيرة بمكة، حين جلبت إليها الماء من وادي نعمان، شرقي مكة، ولها أعمال خيرية عظيمة، منها: إنشاء سلسلة بِرَك لتجميع الماء على طرق الحاج، توفيت سنة 216هـ. أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (أبو بكر). **تاريخ بغداد** (تاريخ مدينة السلام)، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1422هـ/ 2001م، ج 16 ص 619.

(6) الصوالجة: جمع صولجان، ومفرده الصولج، فارسي معرب، وهو عصا يُعطف طرفها، يُضرب بها الكرة على الدواب. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 2 ص 310.

(7) الطباطب: جمع طبطابة: خشبة عريضة يُلعب بها بالكرة، وفي التهذيب: يَلعب الفارس بها بالكرة. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج1 ص 556.

(8) النشاب: النَّبل، واحدته نُشَّابة، والنشاب: السهام. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 1 ص 757.

(9) البرجاس: غرض في الهواء يرمى به. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 6 ص 26.

وأول خليفة لعب بالشطرنج والنرد، وقدم اللَّعَّاب، وأجرى عليهم الأرزاق.

وأول خليفة اتخذ القيان من بني هاشم، فتشبه الناس جميعًا به وسلكوا سبيله، وكان وزراؤه من البرامكة، فكان [يحيى](1) بن خالد يحب الحكمة والكلام والنظر، ففي أيامه كثر المتكلمون، وجادلوا وناظروا ووضعوا الكتب، منهم هشام بن الحكم(2)، وضرار بن عمرو(3)، ومَعْمَر بن عمر(4)، وهو أيضًا نظر في كتب الكيمياء. فكانت البرامكة سمحاء كرماء، أجوادًا معطين مفضلين، فتشبه عمالهم والناس جميعًا بهم، حتى إن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة من كان بها من المفضلين أيام العرس.

وأفعال البرامكة مشهورة معروفة، ولم يكن في ناحية الرشيد إلا مفضل إما على حقيقة وإما على التشبيه.

وكان الرشيد أول خليفة كتب في صدور الكتب: «وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ»، فامتثلت الخلفاء ذلك بعده.

وأول خليفة لبس القَلَنْسُوَة(5) الطويلة الرصافية.

---

(1) في الأصل: «حسن» خطأ.

(2) هشام بن الحكم، أبو محمد الشيباني، وصفه ابن حجر بأنه من كبار الرافضة ومشاهيرهم، مناظر، ووصفه ابن النديم بأنه كان حاذقًا من المتكلمين، له مؤلفات كثيرة، توفي بعد نكبة البرامكة، ويقال: أدرك عهد المأمون. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1423هـ/ 2002م، ج 8 ص 334.

(3) ضرار بن عمرو القاضي الغطفاني، من كبار المعتزلة، ثم اختلف معهم فكفروه، له ثلاثين مؤلفًا في الرد على المعتزلة وعلى الخوارج والروافض. ابن حجر، **لسان الميزان**، مرجع سابق، ج 4 ص 341.

(4) معمر بن عمر العطار، أحد شيوخ المعتزلة، وتوفي عام 215هـ. ابن حجر، **لسان الميزان**، مرجع سابق، ج 8 ص 118، 122.

(5) القلنسوة: غطاء للرأس له أشكال متعددة، وألوان مختلفة، ويرى دوزي أنها طاقية توضع =

وأول خليفة كتب على الأعلام السواد بالبياض: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وأما أم جعفر بنت جعفر بن المنصور، فإنها كانت تريد أن تتقدم الرشيد في كل شيء من جد وهزل، فأما الجد فالآثار الجميلة التي ليس في الإسلام مثلها، فإنها حفرت عين المشاش[1]، وساقتها اثني عشر ميلًا إلى مكة، وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ثم اتخذت المصانع[2] والسقايات والمتوضآت حول المسجد الحرام، وبنت دور السبيل، ومصانع بمنى، و[في][3] عرفات وسقايات، وحفرت آبارًا في منى على طريق مكة، ووقفت على ذلك ضياعًا غلتها ثلاثون ألف دينار في السنة، وبنت في الثغور دور السبيل.

وعملت البيمارستانات[4]، وحبست ضياعًا على الثغور وعلى الفقراء والمساكين ما غلته مائة ألف دينار.

وأما ما يتلين به الملوك وينعمون به، فهي أول من عمل في الإسلام

= تحت العمامة. دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس**، مرجع سابق، ص 181؛ رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 402.

(1) المشاش: عين حنين، في موقع الشرائع الآن، أول من أجراه زبيدة، زوج هارون الرشيد، ثم تقطعت وأعيد حرفها كثيرًا، واستغني عنها مؤخرًا بعين نعمان المعروفة بعين زبيدة. **البلادي، معجم معالم الحجاز**، مرجع سابق، ص 1599.

(2) المصانع: جمع مصنع، وهو الموضع الذي تمارس فيه صناعة أو صناعات مختلفة، والمصنع أيضًا: شبه الحوض يجمع فيه ماء المطر. **مجمع اللغة العربية**، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 527.

(3) فراغ في الأصل بمقدار حرف «في».

(4) البيمارستانات: جميع بيمارستان، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما: بيمار وتعني مريض أو عليل أو مصاب، وستان وتعني مكان. أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دمشق: جمعية التمدن الإسلامي، 1357هـ، ص 4. وقد درسها بإسهاب.

الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر، واتخذت رفيع الوشي حتى بلغ ثوب وشي عمل لها بخمسين ألف دينار.

وأول من اتخذ الشاكرية[1] من الخدم والجواري، يركبون الدواب ويختلفون في حوائجها برسائلها وكتبها.

وأول من عمل القباب من الفضة والأبنوس[2] والصندل، ورأسها وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسَّمُّور[3] والدِّيباج[4] والخز والملحم، والدَّبِيقي[5].

وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر وشمع العنبر، وتشبه الناس بأم جعفر في جميع أفعالها.

---

(1) الشاكرية: فرقة من الجند ظهرت في أيام المهتدي، واستفحل أمرها في أيام المستعين. إبراهيم السامرائي، **التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية**، الأردن: دار الفرقان، ط 1، 1986م، ص 82.

(2) الأبنوس: شجر كالجوز، خشبه شديد الصلابة. بطرس البستاني، **محيط المحيط**، بيروت: مكتبة لبنان، ص 6.

(3) السمور: نوع من الفراء الفاخر اللين الخفيف، يلبس لتدفئة الجسم، ويصنع من جلد حيوان بري، يقول الجاحظ: **خير السمور الصيني**، ثم الخزري. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 241.

(4) الديباج: فارسية معربة، تعني ثوب حريري، ويبدو أن كل المنسوجات الملونة تسمى ديباج. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 182.

(5) الدبيقي: من دق ثياب مصر، منسوب إلى قرية مندثرة الآن اسمها دبيق، وكانت الثياب الدبيقية من ملبوس الخلفاء والأمراء. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 167. ووردت في تحقيق الفرا: (الدبيقي) خطأ، وقال في الهامش: نسبة إلى قرية ديبق قرب دمياط في مصر.

21 ـ وكان **محمد الأمين بن الرشيد**[1]، وأمه أم جعفر، فقدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم، فلما رأت أم جعفر استضعافه بالخدم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه، فطرّت رؤوسهن، وجعلت لهن الطرر والأصداغ وشعور الأقفاء، وألبستهن الأقبية والمناطق.

وكانت أول من فعل ذلك وبعثت بهنَّ إليه، وأبرزتهن للناس، فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات، وألبسوهن الأقبية والمناطق، وسموهن الغلاميات[2]، قصرت أيام محمد حتى قتل.

---

(1) مدة خلافته (193 ـ 198هـ/ 809 ـ 813م).

(2) يبدو لي أن مصطلح الغلاميات مأخوذ من صفة الشعر المقصوص كشعور الغلمان.

22 ـ وكان **المأمون أمير المؤمنين بن الرشيد**[1]، فكان في أول خلافته يغلبه الفضل[2]، يستعمل النجوم والنظر فيها، ويذهب مذاهب ملوك الفرس، ويشتهي قراءة الكتب القديمة. فلما قدم العراق اطّرح ذلك، وأظهر القول بالعدل والتوحيد[3]، وجالس المتكلمين والفقهاء والأدباء، وأقدمهم من البلدان، وأجرى لهم الأرزاق، فكثر المتكلمون في أيامه، ووضع كل امرئ كتابًا ينصر قوله، ويرد على من خالفه.

وكان أكرم الناس عفوًا، وأحسنهم مقدرة، وأجودهم بالمال وأبذلهم للعطايا.

فأما عفوه فإنه [عفا][4] عن إبراهيم [بن][5] المهدي[6]، وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة، ودعا إلى نفسه، وتسمى بأمير المؤمنين وحارب أصحابه.

وعفا عن الفضل بن الربيع[7]، وهو الذي كان حمل محمدًا على

(1) مدة خلافته (198 ـ 218هـ/ 813 ـ 833م).

(2) غلب عليه الفضل بن سهل، حتى ضايقه في جارية أراد شراءها، فقتله المأمون، أو دس عليه من قتله (**مروج الذهب للمسعودي** ج 4 ص 6). وقد لقبه المأمون: ذا الرياستين، أي: رياسة الحرب، ورياسة التدبير. محمد بن عبدوس الجهشياري (أبو عبد الله)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 1، 1357هـ/ 1938، ص 305.

(3) أي: صارت عنده ميول لفكر المعتزلة، ومسألتا: **العدل والتوحيد**، تعدان من المسائل الخمس الكبرى عندهم.

(4) في الأصل: «عفى»، خطأ إملائي تكرر فيما بعده.

(5) في الأصل: «إبراهيم المهدي» خطأ.

(6) إبراهيم بن المهدي: عم المأمون، ويعرف بابن شِكْلَه، خلع المأمون سنة 201، وظفر به المأمون سنة 210هـ، فعفا عنه. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 470 ـ 473؛ المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 6 وما بعد.

(7) الفضل بن الربيع: وزير هارون الرشيد، وصاحب أمره كله بعد مقتل جعفر بن يحيى بن برمك، توفي سنة 208هـ. **تاريخ خليفة بن خياط**، مرجع سابق، ص 465، 473.

خلعه من ولاية العهد، ووجه الجيوش لمحاربته، ثم أعطاه الأمان فنكث، ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدي.

وعفا عن إسماعيل بن جعفر بن سليمان[1]، وقد خلعه، وقال فيه أقبح القول.

وعفا عن نُعيم بن حازم[2]، وقد أقام يحاربه عدة سنين.

وعفا عن عيسى بن محمد بن [أبي][3] خالد[4]، وقد نكث بيعته مرة بعد أخرى، وحارب أصحابه حتى قتل صاحب شرطته.

وعفا عن سهل بن سلامة المطّوّعي[5]، وكان يلبس الصوف، ويعلق المصحف في عنقه، ويأمر الناس بخلع المأمون، ولا يعطيه أحد طاعة.

وعفا عن مهدي بن علوان الشاري[6]، وقد تسمى بأمير المؤمنين، وحارب أصحابه، فظفر به بغير عهد ولا أمان.

وعفا عن دعبل الشاعر، وقد هجاه بأقبح هجاء.

---

(1) إسماعيل بن جعفر بن سليمان: هاشمي عباسي، وصفه الذهبي بأنه كان: نبيلاً سيدًا كبير القدر، توفي ببغداد سنة 2016هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 5 ص 277.

(2) خبر انحياز نعيم بن حازم إلى إبراهيم بن مهدي ضد المأمون، ثم القبض عليه، في: الجهشياري، **الوزراء والكُتَّاب**، مرجع سابق، ص 312، 313.

(3) زيادة لم ترد في الأصل لتصحيح الاسم.

(4) خرج عيسى مع أهل بغداد، وحاربوا الحسن بن سهل بقيادة محمد ابن أبي خالد المروزي، والد عيسى. ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 388.

(5) خبر خروج سهل بن سلامة ومعه المطوعة حتى القبض عليه، في: ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 388، 389، وقد ظفر به إبراهيم بن المهدي، فسجنه، يقول ابن كثير في سبب القبض عليه: «وذلك لأنه التف عليه جماعة من الناس يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد، وأنكروا على السلطان، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة، وصار باب داره كأنه باب سلطان، عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أبهة الملك...». ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 11 ص 8.

(6) في الأصل: «الساري» انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 389.

وعفا عن عُبيد [الله][1] بن السَّرِي بن الحكم[2] المتغلب على مصر، وقد أقام[3] يحاربه عدة سنين.

وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوي[4]، وقد خرج بمكة، وتسمى بأمير المؤمنين.

وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر[5]، وقد خرج بالبصرة، وخلع المأمون.

وعفا عن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي[6]، وقد خرج باليمن[7]، وحارب الجلودي[8].

وعفا عن جميع المتغلبين، مثل: رباح بن أبي رمثة المتغلب بديار ربيعة[9]، والعباس بن زفر الهلالي المتغلب بقورس من

(1) في الأصل: «عبيد بن السري».

(2) استعاد عبد الله بن طاهر من عبيد الله بن السري بأمر من المأمون بعد حروب طويلة. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 11 ص 44.

(3) في الأصل: «وقد أقام وقد أقام» مكررة.

(4) ادعى محمد بن جعفر الخلافة بمكة، ولما قُبض عليه، قال: كنت أظن أن المأمون قد مات، وقد تحققت حياته، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما كنت ادعيت من ذلك، وقد رجعت إلى الطاعة، وأنا رجل من المسلمين. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج 10 ص 543.

(5) زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، يقال له علي النار لكثرة ما حرق من البيوت التي للمسوِّدة، قاد الطالبيين بالبصرة، وأسره علي بن سعيد عام 200هـ. ابن كثير، المرجع نفسه، ج 10 ص 543.

(6) إبراهيم بن موسى، ويقال له: إبراهيم الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن، وأخذ أموالهم. ابن كثير، المرجع نفسه، ج 10 ص 543.

(7) سقط خبر عفوه عن إبراهيم بن موسى من تحقيق الفرا.

(8) عيسى بن يزيد الجلودي، كان عاملاً للمأمون على اليمن، وعلى مصر أحمد ابن أبي يعقوب ابن جعفر بن وهب بن أبي واضح الكاتب العباسي. **تاريخ اليعقوبي**، ليدن، 1883م، ج3 ص 182، 191.

(9) مدينة معروفة في العراق، وحاضرتها الموصل، ويجاورها ديار بكر وديار مضر.

جند قنسرين، ونصر بن شبيب العقيلي[1]، المتغلب بديار مضر مع محاربته أيامًا، وعن عثمان بن ثمامة العبسي، الخارج عليه بالحجاز، وعن الحواري بن حطان التنوخي[2]، الخارج بحاضر تنوخ، وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب.

وقال: حبِّب إلي العفو حتى ما أراني أؤجر عليه.

وأما الجود والسماحة، فإنه أمر في يوم واحد لثلاثة نفر بألف ألف وخمسمائة ألف دينار[3]، لكل واحد خمسمائة ألف دينار. وقلّ المال في بيت المال، فجمع أصحابه، وقال: إنه قد قلّ، وأضر ذلك بنا وبأوليائنا، فاستقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف درهم إلى أن تأتي الأموال فنردها، فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم به عليه، وعرض ثلاثين ألف ألف درهم، وقال: هي حاصلة عندي، وقام حميد بن عبد الحميد الطوسي، وقال مثل ذلك، وقام من حضر المجلس من أصحابه، فعرض ما عنده حتى بلغ ما عرضوا عليه مائة ألف ألف وستة وخمسين ألف ألف درهم، فلم يقبل من أحد منهم شيئًا، وجزاهم الخير.

---

(1) ذكر ابن قتيبة بعض أخباره، وظفر به عبد الله بن طاهر سنة 211هـ. وورد الاسم في المطبوع في: ابن قتيبة، **المعارف**، مرجع سابق، ص 387؛ الكندي، **الولاة وكتاب القضاة**، مرجع سابق، ص 180: نصر بن شبث.

(2) اسمه الحواري بن حطان (وليس حنطان كما ورد في تحقيق الفرا) بن سعد بن زيد بن لوذان التنوخي، ترجم له ابن العديم، وعده من أعيان حلب، وقال: ينتسب إليه بنو الحواري بمعرة النعمان، فكان من الرجال المذكورين المقدمين، وهو الذي خرج بحاضر قنسرين على عبد الله المأمون، ثم ظفر به، فعفا عنه. ونقل ابن العديم هذا الخبر من كتاب **مشاكلة الناس لزمانهم** ولكنه استبدل تنوخ بقنسرين. انظر: عمر بن أحمد ابن أبي جرادة (ابن العديم الصاحب كمال الدين). **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ج 6 ص 2987.

(3) القراءة العصرية للرقم: مليون وخمسمائة ألف دينار، وهو مبلغ كبير من الصعب أن يُمنح لثلاثة أشخاص من باب الكرم فقط.

وتأخرت الأموال، وبشر بموافاة مال خراج فارس، فركب ينظر إليه ثم فرقه كله، فلم يبق إلا مقدار إعطاء الجند. فأمر المعلّى بن أيوب بقبضه.

وكان أصحابه ووزراؤه وكتابه وقواده يتقبلون فعله، ويسلكون سبيله، ويذهبون مذهبه. فمنهم الحسن بن سهل، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالًا وأجملهم لنائبة فادحة، وأصبرهم على إعطاء كل من سأله.

وكان حُميد بن عبد الحميد الطوسي[1] جوادًا سمحًا مفضلًا، ووقف ضياعًا غلتها في السنة مائة ألف دينار على أهل البيوتات وذوي الأقدار، وكان لا يرد أحدًا.

وكان غسّان بن عبّاد[2] سمحًا، فرق في يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون، أعطاه من ماله، وكلم المأمون.

وكان عبد الله بن طاهر عظيم المروءة، حسن الاحتمال، حسن الإجمال، أمر في يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاثمائة ألف دينار، لكل واحد بمائة ألف دينار، ولثلاثة نفر بمائة وخمسين ألفًا، لكل واحد بخمسين ألف دينار.

وكان علي بن هشام أسمح الناس وأحسنهم مروءة، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبعمائة بعير[3].

---

(1) حميد بن عبدالحميد، أمير، من كبار قواد المأمون، توفي سنة 210هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 5 ص 65.

(2) غسان بن عباد: من رجالات المأمون، كلفه بمهام كبيرة، منها ولاية السند سنة 213هـ وصفه الذهبي بأنه: ذو رأي وحزم ودهاء وخبرة تامة. الذهبي، المرجع نفسه، ج 5 ص 244.

(3) يبدو أن هذا الخبر من مبالغات المؤرخين.

وكان أحمد بن يوسف[1] كاتبه عظيم المروءة، وكان الناس عامة على أخلاق محمودة.

وشغب الجند ببغداد، فكثر ضجيجهم لتأخر أرزاقهم، فخرج إليهم [عمر بن] فرج الرخجي[2]، فضمن لهم أرزاق سنة، ثم دفعها إليهم من ماله.

وكان أول خليفة كتب على عنوانات كتبه:

«بسم الله الرحمن الرحيم».

وأول خليفة صيّر ديوان العرض للجند، وأول خليفة أرّخ الكتب باسم كاتبه، وإنما كانت تؤرخ باسم المحرر، وبقيت هذه الرسوم.

---

(1) أحمد بن يوسف، مولى بني عجل، أديب، شاعر، ولي كتابة الرسائل للمأمون، توفي سنة 213هـ. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 5 ص 262.

(2) في الأصل: «خرج الرخجي»، والمثبت من نسخة الفرا.

23 ـ ثم كان **المعتصم، وهو محمد بن هارون الرشيد**[1]، فسلك في المقالة في الدين مذهب المأمون، وكان الذي يغلب عليه الفروسيّة والتشبه بالعجم، فلبس الثياب الضيقة الأكمام، فضيّق الناس أكمام ثيابهم.

ولبس الخِفَاف الكبار والشاش[2] المربعة، وكان أول من لبس شاشية مربعة، فلبسها الناس تشبهًا به، ونسبت إليه، وقيل: الشاشيّ المعتصمية.

وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة، واتخذ الآلات العجمية، فتشبه الناس به[3].

ولم يكن في عصره من وزرائه وقوّاده وكتّابه من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله، وابن أبي دؤاد[4]، فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير، وكان ابن أبي دؤاد غالبًا على أمره مقدمًا عنده.

---

(1) مدة خلافته (218 ـ 227هـ/ 833 ـ 841م).

(2) النسبة إلى الشاش: الشاشية، هي لباس للرأس على هيئة عمامة يلف عليها الشاش. رجب إبراهيم، **المعجم العربي**، مرجع سابق، ص 252.

(3) «كان المعتصم يحب العمارة، ويقول: إن فيها أمورًا محمودة، فأولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويتسع المعاش، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك: إذا وجدت موضعًا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهمًا فلا تؤامرني فيه». المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 40. يتضح من هذا النص اهتمام المعتصم بالعمارة بمفهومها الواسع، والاستثماري تحديدًا، ويلحظ أن تقدير الاستثمار الناجح بمدى تحقيقه نسبة أرباح 10% تعد فكرة قديمة، وما يزال معمول بها حتى الآن. كما أنه بنى مدينة سامراء، وبنى الناس فيها بعده، وجلبوا إليها أنواع من الغرس والأشجار. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 45.

(4) أحمد ابن أبي دؤاد فرج بن جرير، قاضي القضاة للمعتصم، اشتهر بامتحانه لأحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن، توفي سنة 240هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مرجع سابق، ج 1 ص 81.

24 ـ ثم كان **هارون الواثق بن المعتصم**[1]، فكان مذهبه في الدين والقول بالعدل[2] على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون. وأظهر ذلك وامتحن عليه، وعاقب من خالفه، وحبس من أبدى عنادًا فيه.

وكتب إلى القضاة في الآفاق أن يمتحنوا العدول، فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله، فغلب هذا على الناس، وتقربوا به إلى ابن أبي دؤاد وإلى القضاة. ولم يكن في عصره من يضرع إليه إلا ابن أبي دؤاد[3].

وكان الواثق كثير الأكل، واسع الطعام، كثير الصدقات، متفقدًا لأهل بيته في كل بلد.

(1) مدة خلافته (227 ـ 232هـ/ 842 ـ 847م).

(2) العدل أحد الأصول الخمسة في مذهب المعتزلة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان المعتزلة يفخرون به، ويسمون أصحاب التوحيد والعدل. والعدل عندهم: هو ما يقتضيه العقل من الحكمة. ولهم في العدل نظريتان مشهورتان هما: نظرية الصلاح والأصلح، ونظرية الحسن والقبح العقليين. وتضمن أصل العدل عندهم تقرير حرية إرادة الإنسان بشكل صريح ومفصل. أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية**، مصر: مكتبة **والسياسية**، مصر: مكتبة مدبولي، ط 1، 2000، ص 35.

(3) يشير المسعودي إلى أنه غلب على الواثق: «أحمد ابن أبي دؤاد، ومحمد بن عبد الملك الزيات، فكان لا يصدر إلا عن رأيهما، ولا يعتب عليهما فيما رأياه، وقلدهما الأمر، وفوض إليهما ملكه». المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 55.

25 ـ ثم كان **جعفر المتوكل بن المعتصم**[1]، فأبطل ما كان يقول به الواثق، وأظهـر القول بالسُّنة والجماعة، وأطلق من كان في المحابس ممن حُبس بسبب عدم القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدل، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا، فترك الناس تلك المقالة، وأنكرها من كان يقول بها، وارتفع الجدل والمناظرة[2].

وكان مما أحدثه بناء الحبوس[3] والأروقة التي عليها الأبواب، فبنى الناس جميعًا بسر من رأى هذا البناء[4]، وآثر لبس الثياب الملحم[5] على جميع الثياب، فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير، وارتفع ثمن الملحم في أيامه لجودتها[6].

وكانت أيامه أيامًا حسنة ناضرة كثيرة الخير، على أنه أول خليفة أظهر العبث، وأطلق في مجلسه الهزل والمضاحيك، وأشياء تركنا ذكرها ذاعت في الناس، واستعملوها وجروا فيها.

---

(1) مدة خلافته (232 ـ 247هـ/ 847 ـ 861م).

(2) اشتهر المتوكل بأنه الذي أوقف فتنة القول بخلق القرآن، ودعم أهل الحديث، وانتصر لمذهب السنة والجماعة. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 71.

(3) يبدو أن القصد من الحبوس هي كراسي للمارة مبنية من أدوات بناء المبنى الملتصقة به، وقد كانت مستخدمة في العمارة ببلدان نجد ومن العمارة الطينية.

(4) ينسب للمتوكل نوع من البناء لم يكن الناس يعرفونه قبله، وهو البناء الحِيري والكمين والأروقة، وهي بناء منزلي مصمم على صورة الحرب، كانت تستخدم عند ملوك الحيرة، فهي تتكون من الصدر، والميمنة والميسرة والرواق والكمين، ولكل مكان وظيفة اجتماعية للخليفة أو خواصه، أو للشراب، أو للمستودع وهكذا، واتبع الناس هذا التصميم، وصار من تقاليد البناء الشعبي حتى القرن الرابع الهجري. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 72.

(5) الملحم: جنس من الثياب. ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج 12 ص 538.

(6) يشير المسعودي إلى المبالغة في أسعار الثياب الملحمة نتيجة لاهتمام الراعي والرعية بها، ومن ثم لتطوير صناعتها، وأنها بقيت إلى زمنه وتعرف بالثياب المتوكلية في القرن الرابع الهجري. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 71.

ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود، وكان الفتح بن خاقان[1] أغلب الناس عليه، وأشدهم تقدمًا عنده. ولم يكن ممن يرجى فضله، ولا يخاف مكروهه.

وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره، وكان طالبًا للسلامة، لهم مروءة في نفسه، ولا إفضال له على أحد، إلا أن الناس يأمنون منه المكروه.

وكان يعتد عليه بقول لا حقيقة له، فكان أحمد بن إسرائيل يقول: تعلمنا منه الكذب.

(1) الفتح بن خاقان: أديب وشاعر ويعد من الأذكياء، قتل مع المتوكل، وكان مقربًا منه.

26 ـ وكان **محمد المنتصر بن المتوكل**[1]، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه، غير أنه كان بخيلًا[2]، وكان أحمد بن الخصيب[3] كاتبه ووزيره، فكان قليل الخير، كثير الشر، شديد الجهل.

(1) مدة خلافته (247 ـ 248هـ/ 861 ـ 862م).

(2) يوصف المنتصر بأنه: «واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغب في الخير، سخيًا، أديبًا، عفيفًا، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق، وكثرة الإنصاف، وحسن المعاشرة، بما لم يسبقه خليفة على مثله». المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 109.

(3) اشتهر أحمد بن الخصيب بالظلم، وأنه قليل الخير، كثير الشر، شديد الجهل، ويذكر المسعودي أن المنتصر ندم على توزيره. المسعودي،المرجع نفسه، ج 4 ص 107؛ 109.

27 ـ وكان **المستعين، وهو أحمد بن محمد بن المعتصم**[1]، وكان أول خليفة وسّع أكمام الثياب، فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها، وصغّر القلانس وقصّرها[2].

ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه، ولا أخلاق يشبه الناس به فيها. وشغل عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع.

(1) المستعين بالله (248 ـ 252/ 862 ـ 866م)، خلع نفسه من الخلافة وسلمها إلى المعتز. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 117.

(2) المرجع نفسه، ج 4 ص 145.

28 ـ وكان **المعتز، وهو أبو عبد الله بن المتوكل**[1]، أول خليفة ركب بحلية الذهب، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف والسُّروج واللُّجُم، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك[2].

لم تعرف له أخلاق تحمد ولا تذم.

(1) مدة خلافته (251 ـ 255هـ/ 866 ـ 869م).

(2) انظر: المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 144.

29 - ثم ولي **المهتدي، وهو محمد بن الواثق**[1]، فذهب إلى القضاء في الدين، وجلس للمظالم، ووقّع بخطه، وقرَّب الفقهاء[2].

وكان يقول: يا بني هاشم دعوني أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز، فأكون فيكم مثله في بني أمية. وتقلل في اللباس والفرش[3]، وتوهّم الناس عليه أن يذهب مذهب أبيه في القول بخلق القرآن.

(1) مدة خلافته أحد عشر شهرًا (255 ـ 256هـ/ 869 ـ 870م).

(2) يذكر المسعودي أن المهتدي بنى قبة سماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وحرم الشراب، ونهى عن القيان، وأظهر العدل... فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على الطريق الواضحة، فاستطالوا خلافته، وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه. المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 148.

(3) قام المهتدي بإجراءات تقشف واسعة، شملت بعض العادات التي يمارسها الخلفاء من قبله، مثل: أمره بإخراج أواني الذهب والفضة من الخزائن، فكسرت ثم ضُربت عملات معدنية، كما محا الصور التي كانت في المجالس، وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء، والديوك، وقتل السباع المحبوسة، ورفع بُسُط الديباج، وكل فُرُش لم ترد الشريعة بإباحتها، وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم، فأزال ذلك وجعل لمائدته في كل يوم مائة درهم. المسعودي، **مروج الذهب**، المرجع نفسه، ج 4 ص 153.

30 ـ **والمعتمد، وهو أحمد بن المتوكل**[1]، فإنه لم تطل أيامه حتى غُلب على أمره، فآثر اللذة، وعكف على الملاهي، وغلب أخوه أبو أحمد على الأمور حتى حظر عليه وحبسه، وكان أول خليفة قُهر وحُجر عليه **وحُظر**[2].

(1) مدة خلافته ثلاث وعشرون سنة (256 ـ 279هـ/ 870 ـ 892م).

(2) راجع بعض أخباره في الانشغال باللهو والطرب، وحجر أخيه أبي أحمد الموفق له عند: المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 169؛ 175. وعلى الرغم من أن المعتمد لم يدعم الغناء بوصفه ثقافة، وأن تعامله مع الغناء والشراب للاستهلاك الذاتي، إلا أن المسعودي رصد سيرة المعتمد في اللهو، إذ يقول: «وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دُوِّنت في أنواع من الأدب... وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا **أخبار الزمان**». المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 180.

31 ـ ثم كان **المعتضد، وهو أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل**[1]، فكان رجلًا شهمًا حازمًا[2].

آخر ذلك، تم[3].

(1) مدة خلافته (279 ـ 289هـ/ 892 ـ 902م).

(2) في السنة التي تولى فيها المعتضد أمر ألا يقعد في الطريق منجّم ولا قصَّاص، واستحلف الوراقين لا يبيعون كتب الفلاسفة والجدل ونحو ذلك. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مرجع سابق، ج 6 ص 474. وقد عُرفت مدة حكمه بالاستقرار، وحكم مملكته بالقمع، ويصفه المسعودي بأنه: «قليل الرحمة، كثير الإقدام، سفاكًا للدماء، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله». المسعودي، **مروج الذهب**، مرجع سابق، ج 4 ص 186.

(3) كلمة: «تم» من نسخة **فاتح**.

المصادر والمراجع

- إبراهيم السامرائي، **التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية**، الأردن: دار الفرقان، ط 1، 1986.
- [أحمد بن إسحاق] اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**، تحقيق مضيوف الفرا، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، السنة الخامسة، العدد الخامس، 1414هـ/ 1993، ص 182 ـ 225.
- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة: عالم الكتب للنشر.
- أحمد بن إسحاق اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر**، تحقيق وليم ملورد، بيروت: دار الكتاب الجديد، د. ت.
- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن أبي واضح الكاتب العباسي، **تاريخ اليعقوبي**، ليدن، 1883م.
- أحمد إسماعيل علي، **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي**، دمشق: دار دمشق، ط 3، 1994.
- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية**، مصر: مكتبة مدبولي، ط 1، 2000.

- أحمد بن عبد الله المحب الطبري (أبو جعفر)، **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1405هـ.

- أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (أبو بكر)، **تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام)**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1422هـ/ 2001.

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1423هـ/ 2002.

- أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دمشق: جمعية التمدن الإسلامي، 1357هـ.

- أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1398هـ/ 1978.

- إسماعيل بن كثير (أبو الفداء)، **البداية والنهاية**، تحقيق مجموعة من العلماء والباحثين، دمشق: دار ابن كثير، ط 2، 2010.

- إميل دوركايم، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، إسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988.

- إيفرت روجرز، **الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر**، ترجمة سامي ناشد، القاهرة: دار عالم الكتب.

- إيكه هولتكرانس، **قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور**، تحقيق محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط 2.

- بطرس البستاني، **محيط المحيط**. بيروت: مكتبة لبنان.
- الجاحظ، **رأي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في معاوية والأمويين**، عني بنشرها وصححها السيد عزت العطار الحسيني، (د. ن)، 1365هـ.
- ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1987.
- حسن مجيد العبيدي، **الفكر السياسي للغزالي من خلال قراءة المستشرق إرفن روزنتال**، ضمن كتاب **أبو حامد الغزالي وأثره على الفكر الإنساني** لمجموعة باحثين، بغداد: بيت الحكمة، ط 1، 2011.
- حمدي شاهين، **الدولة الأموية المفترى عليها**، القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 2001.
- خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، ط 2، 1405هـ.
- خليفة بن خياط، **الطبقات**، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1387هـ/ 1967.
- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ط 7، 1986.
- ديمتري غوتاس، **الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة اليونانية ـ العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر**، ترجمة د. نقولا زيادة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
- رجب عبد الجواد إبراهيم، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، مصر: دار الإفاقة العربية، ط 1، 1423هـ.

- رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة مجموعة من المترجمين، الجزء التاسع، ترجمة جمال الخياط، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1999م.

- رينهارت دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، ترجمة أكرم فاضل، ضمن اللسان العربي: مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، الرباط: جامعة الدول العربية، المجلد الثامن الجزء الثالث.

- زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، ترجمة سعد البازعي وبثينة الإبراهيم، أبوظبي: كلمة، 2016م.

- سكينة الشهابي، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، دمشق: دار الفكر، ط 1، 1409هـ.

- السيد محمد البدوي، **قوانين التقليد لجبريل تارد**، مجلة تراث الإنسانية، مصر، مج3 ع 6 ص 457 ـ 478.

- شيخة أحمد الخليفي، **اليعقوبي والعصر الأموي في كتابه تاريخ اليعقوبي**، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر ع 13 عام 2001م.

- عاتق بن غيث البلادي، **معجم معالم الحجاز**، مكة المكرمة: دار مكة للنشر، ط 2، 2010م.

- عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 2000م.

- عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (جلال الدين)، **تاريخ الخلفاء**، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، 1434هـ.

- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء: بيت الفنون والعلوم والآداب، ط 1، 2005م.
- عبد العزيز الدوري، **العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**، بيروت: دار الطليعة، ط 3، 1997م.
- عبد القدوس الأنصاري. **آثار المدينة المنورة**، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط 3، 1393هـ.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (أبو بكر ابن أبي شيبة). **مسند ابن أبي شيبة**، تحقيق عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الرياض: دار الوطن، ط 1، 1997م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (أبو محمد)، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ط 4.
- عبد الملك بن محمد الثعالبي (أبو منصور)، **لطائف اللطف**، تحقيق عمر الأسعد، بيروت: دار المسيرة، 1407هـ/ 1987م.
- علي بن الحسين الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، بيروت: دار صادر، ط 3، 2008م.
- علي بن الحسين بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، عُني به كمال حسن مرعي، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ/ 2005م.
- علي بن يوسف القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ/ 2005م.

- عمر بن أحمد ابن أبي جرادة (ابن العديم الصاحب كمال الدين)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، بيروت: دار الفكر.
- فرانز روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح العلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 3، 1403هـ.
- فردريك معتوق، **معجم العلوم الاجتماعية**، بيروت: أكاديميا، ط 1، 1993م.
- كارل بروكلمان، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، ط5.
- مجمع اللغة العربية، **معجم الموسيقى**، مصر: مجمع اللغة العربية، 1420هـ/ 2000م.
- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مصر: مجمع اللغة العربية، ط 4، 1424هـ/ 2004م.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (أبو عبد الله). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م.
- محمد بن إسحاق النديم. **الفهرست**، أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1430هـ/ 2009م.
- محمد إلياس عبد الغني، **بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف**، (د. ن) ط 4، 1420هـ.
- محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي (أبو بكر)، **لحن العوام**، تحقيق رمضان عبد التواب، مصر: دار الخانجي، ط 2، 1420هـ.
- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (أبو الفتح). **الملل والنحل**، تحقيق

عبدالعزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط 1، 1387هـ/ 1968م.

- محمد بن عبدوس الجهشياري (أبو عبدالله). **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 1، 1357هـ/ 1938م.
- محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، بيروت: دار صادر، (د. ت).
- محمد بن مكرم بن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.
- محمد بن محمد الغزالي الطوسي (أبو حامد)، **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1409 هـ.
- محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (أبو بكر)، **سراج الملوك**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1414هـ.
- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (مجد الدين)، **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 6، 1998م.
- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (أبو طاهر)، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، ط 1، 1389هـ.
- محمد بن يوسف الكندي (أبو عمر)، **الولاة وكتاب القضاة**، عُني به المستشرق رفن كَست، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م.
- مظهر الجغيمي وعبد الجبار الدليمي، **الجوانب العمرانية والعسكرية والإدارية من خلال كتاب البلدان لليعقوبي**، ضمن مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، ع 2 حزيران 2012م.

- مـروان عطية الزيـدي، **آراء المؤرخين في قضية مقتل الـوليد بن يزيد**، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، ج 2 ع 6.
- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، الرومي، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م.
- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، 1397هـ/ 1977م.
- يسري عبد الغني عبد الله، **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/ 1991م.
- يعقـوب بن إبـراهيم (القاضي أبي يـوسف)، **الخـراج**، بيـروت: دار المعرفة، 1399هـ/ 1979م.
- يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (أبو عمر)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عادل مرشد، الأردن: دار الإعلام، ط 1، 2002م.

Patrik Aspers. Fr´ed´eric Godart. **Sociology of Fashion**: Fashion,. 92-Order and Change, online published, 2013 171 Sociology of Sellerberg Ann-Marie, Lund University, Lund, Sweden.

Aspers Patrik, Uppsala University, Uppsala, Sweden. 2015 This article is a revision of.Elsevier Ltd. All rights reserved the previous edition article by M. Sellerberg, Volume.



فهارس عامة

فهرس الأعلام

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المناصب

فهرس العمارات وما يتعلق بها

فهرس الملابس

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

فهرس الأسلحة

فهرس الكتب

الكتاب

يأتي هذا الكتاب النادر، بوصفه من نفائس التراث العربي في الفكر الاجتماعي، ليبحث في تاريخ الأفكار وتأثير ثقافة النخب واهتماماتهم على سلوك الناس العاديين في حياتهم اليومية، كما يؤصّل لأفكار الإنسان العادي وممارساته وهواياته ومتابعته التقاليد والاهتمامات، وكذلك لأسباب انتشار أفكار «علية القوم»، ومنها اهتمامهم بما يُمكن إدراجه ضمن «الموضة» في المجتمع التقليدي، ويعرّفنا إلى مصادر نشأتها وتغييرها في المجتمع.

ويعكس تاريخ تأليف هذا الكتاب الذي يعود إلى القرن الثالث الهجري قوةَ التفكير الاجتماعي، إذ تتبّع مؤلّفه اليعقوبي ظاهرةَ انتشار القيم والعادات والتقاليد والاهتمامات، أو ما يشيع بين الناس عمومًا، وتوصّل إلى تسلسل أسبابها، وهرمية انتشارها، فهي، وفق ملاحظاته، تبدأ من الخليفة، ثم يقلّده كبار رجال دولته، مثل ولاته ووزرائه وعماله، ثم يقلّدهم من هم أدنى منزلة، حتى تصير عادةً منتشرة في المجتمع؛ فالخلفاء كانوا رمزًا اجتماعيًا ومصدرًا أساسيًا لتوجيه أفكار الناس واهتماماتهم.


جداول Jadawel
www.jadawel.net